

کامل کیلانی

شہر القصص

روبنسن کروزو



NC

Ch

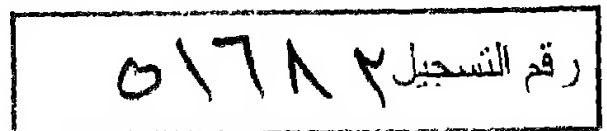
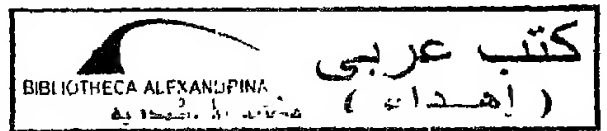
823

کیل

ر



دارالمعارف



اهداءات ٢٠٠٢

أ/ رشاد حامد الخيلاني

القاهرة

كامل كيراني

أشهر القصص

روبنسن كروزو

الطبعة الثانية عشرة



دار المعارف

ch

800

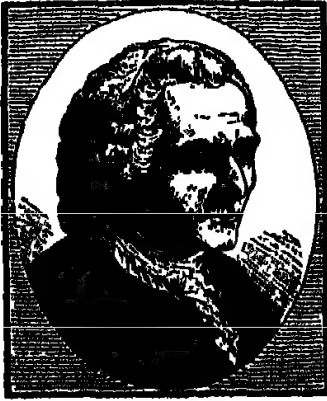
2A

c 2

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

مقدمة بقلم جان چاك رُسُو

« ما دُمنا لا نَسْتَفِي عَنِ الْكُتُبِ ، ولا مَعْدَى لَنَا عَنِ الْمُطَالَعَةِ ؛ فَتَمَّ كِتَابٌ هُوَ عِنْدِي أَمْنٌ ذَخِيرٌ فِي التَّزْيِينِ الْإِسْتِقْلَالِيَّةِ الطَّبِيعِيَّةِ . وَسَيَكُونُ أَوَّلَ كِتَابٍ يَقْرَؤُهُ طِفْلِي « إِمِيل » . وَسَيُضْبِحُ — وَحْدَهُ — كُلَّ مَكْتَبَتِهِ . وَسَيَرَى فِيهِ — عَلَى الدَّوَامِ — مِنَ التَّمَايَا الْبَاهِرَةِ مَا يَدْفَعُهُ لِإِحْلَالِهِ أَسْمَى مَكَانٍ سَيَنْدُ .



وَسَيَظَلُّ هَذَا الْكِتَابُ مُعَذَّةً فِي هَذَا الْبَابِ ، وَيَظَلُّ كُلُّ مَا عَدَاهُ — مِنْ كُتُبِ الْعُلُومِ الطَّبِيعِيَّةِ — حَوَاشِيَّ وَتَعْلِيقاتٍ عَلَيْهِ . فَهُوَ أَصْدَقُ مِقْيَاسٍ نَقِيسُ بِهِ مَدَى نَجَاحِنَا فِي الْحَيَاةِ ، كَمَا نَقِيسُ عَلَيْهِ أَحْكَامَنَا الَّتِي نُصْدِرُهَا . وَسَيَظَلُّ — كَذَلِكَ — مُتَجَدِّدَ الرُّوْعَةِ وَالْأَثَرِ فِي كُلِّ وَقْتٍ يَقْرَؤُهُ ، مَا دَامَ لَنَا ذَوْقٌ لَمْ يَتَغَرَّقْ إِلَيْهِ الْفَسَادُ .

« جان چاك رُسُو »

تُرَى مَا هُوَ هَذَا الْكِتَابُ إِذَنْ ؟

لَعَلَّهُ كِتَابُ « أَرِسْطُو » أَوْ « بَلِين » أَوْ « بُوْفُون » !
كَلَّا ، لَيْسَ كِتَابُ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ ، بَلْ هُوَ كِتَابُ « رُوْبَنْسَن كُرُوزُو » .

جان چاك رُسُو

المائة

لم ومعيناً في اقتباس نظرية ربط بعض المواد الدراسية ببعض .

وقد ولد مؤلف هذه القصة « دانييل ديفو » بمدينة « لندن » عام ١٦٦١ م ، ومات في ٢٦ من إبريل سنة ١٧٣١ م . وكان مشهوراً بالصدق والأمانة .

وكان اسم أبيه « جيمس فو » .

وقد ظل اسم المؤلف - منذ نشأته إلى أن بلغ الأربعين من سنه - « دانييل فو » ، ثم تغير بعد ذلك ؛ فأطلق عليه الناس اسم « دانييل ديفو » . وكان لهذا التغير قصة طريفة ؛ هي أنه كان متعوداً أن يعضى بحوته ومقالاته بالحرف الأول من اسمه ويردده بالاسم الثاني منه كاملاً هكذا : « د . فو » ؛ فتعود الناس أن ينطقوا باسمه هكذا : « ديفو » .

ثم غلب ذلك الاسم عليه ، لذيوعه وخفته على السمع وجمال موسيقاه ؛ فأصبحوا يسمونه منذ ذلك الحين « دانييل ديفو » .

وليس لدينا أقباء وثيقة عن نشأة هذا الكاتب النافذة ، كما أننا لا نعرف شيئاً يذكر عن سيرته الأولى . وغاية علمنا أن أباه كان قصاباً يعيش في « لندن » ، وأنه قد عى بتعليم ولده وتنشيطه العناية كلها ، ولم يأل جهداً في تمهده بالدرس والتحصيل على خيرة معلمى عصره ، حتى إذا بلغ الرابعة عشرة

تعد قصة « روبنسن كروزو » من أشهر القصص العالمية التي كتب لها الخلود . وقبلما نجد في - أو فتاة - من يتكلم الإنجليزية في أى بلد من بلاد العالم ، لم يقرأها في شغف وسرور لا حد لها ، وهو مبهج بتلك القصة الفاتنة ، التي تشرح له كيف غرقت السفينة ، ومات من فيها ، ونجا واحد بمفرده من ملاحيتها ، وعاش في جزيرة مقفرة لا أنيس بها . وكثيراً ما يسأل الطفل أبويه عن دقائق القصة وتقاصيلها .



« دانييل ديفو »

وقد اتخلعها رجال التربية أساساً لتثقيف الأطفال ، لأنها تمودهم الجلد والدأب ، وتنشئهم على الحياة الاستقلالية أحسن تنشئة . وقد جعلوها أساساً لنظام الكشف ، كما اتخلوها مرشداً

وكان لاقتراحاته تلك أكبر أثر في نفس « بنيامين فرانكلين » ، الذي قرر - صراحة - أنه استفاد أكبر فائدة من البحث الذي سبقه إليه « ديفو » منذ عدة سنوات ، وقد حمد الحظ السعيد الذي قاده إلى هذا البحث في مكتبة أبيه .

وقد اتصل بالملك « وليم الثالث » ، ودافع عن سياسته ، فذاع صيته .

ولما مات « وليم الثالث » آلمه موته ، وعده خسارة فادحة . وانتهز خصومه الفرصة ، وتآلبوا عليه ونكلوا به . ثم عطف عليه الملكة « حنة » ، بعد أن توسط له أحد الوزراء ، فظلت تشمله برعايتها حتى ماتت .

كيف اشتهر ديفو؟

أما شهرة « ديفو » العظيمة ، فكان بدؤها قصيدة نظمها في الدفاع عن « وليم أورنج » : ملك إنجلترا حينئذ ، رداً على قصيدة نظمها أحد الشعراء في الحكم به ، فأكسبته عطف الملك وحب الشعب والحكومة ، وأحرز منصباً جليلاً في عام ١٦٩٤ م .

وأي إلا أن يزحم وقته بالعمل ، فأنشأ مصنع طوب كبيراً ، ولكنه لم يوفق فيه لكثرة أعماله . ثم مات « وليم أورنج » في عام ١٧٠٢ م ، ففقد « ديفو » بموته أكبر نصير ومشجع له .

وفي عهد الملكة « جنة » ، لقي « ديفو » كثيراً

من عمره ، أرسل إلى إحدى جامعات « لندن » ليتم ثقافته . وهكذا تفقه المؤلف في الدين ، وبرع في علوم الرياضة والجغرافية والتاريخ وما إلى ذلك ، كما أتقن خمس لغات . وقد وفق إلى كتابة كثير من البحوث الرائعة : من دينية واجتماعية وإصلاحية وسياسية ، فكانت سبباً في إذاعة مواهبه ونبوغته بين معاصريه .

وكان عصره عصر اضطرابات وثورات . وقد اشترك في بعضها ، وعرض نفسه لأخطار القتل والسجن والتنكيل . فأثر الحرب إلى « إسبانيا » ، حيث استخفى عامين ، ثم عاد إلى وطنه . وساعده الحظ ، فتزوج في « لندن » . واشتغل بالتجارة ، فلم يكتب له النجاح فيها ؛ لانصرافه عنها إلى الكتابة والبحث . ولم تمر عليه سبع سنوات حتى أرهقه الدين الذي أربى على سبعة عشر ألف جنيه . ولكن ثقة دائنيه به قد ساعدته - فيما بعد - على أداء هذا الدين الجسيم .

ثم رحل إلى « برستول » ، حيث أنشأ صحيفة باسمه ، وكتب فيها كثيراً من اقتراحاته الاقتصادية المشيرة ؛ فأخذت بها بلاده ، وأقرت آراءه فيها . وكان يحث مواطنيه على إنشاء الطرق ، والمصارف الاقتصادية للفقراء ، وما إلى ذلك من تنظيم الخطط الناجمة لتعليم جمهرة الشعب .

من العنت والإرهاق ؛ فتأول خصومه في بعض مقالاته ما شاء لهم الحقد والهوى . وانتهت عما كتبه بسجنه ، وتغريمه غرامة فادحة في أواخر يوفية سنة ١٧٠٣ م .

وقد شهر به خصومه ، ولكن ذلك لم يقلل من إعجاب منصفيه الذين عرفوا نبل قصده وشرف غايته . وقد كتب في سجنه عدة مقالات نفيسة . ولما خرج من السجن أنشأ صحيفة أخرى نالت أكبر النجاح ، وظلت تصدر إلى عام ١٧١٣ م . وكانت أول أمرها تظهر مرة في الأسبوع ، فترتين ، ثم ظلت تصدر تباعاً ثلاث مرات في كل أسبوع .

وقد لى « ديفو » كثيراً من الاضطهاد والعنت ، وتعرضت حياته للقتل ، ثم عاد بعد ذلك إلى خدمة الحكومة . وفي عام ١٧١٤ م فصل من عمله ، وعاد إلى التمرس للإعنات مرة أخرى . وتألب عليه أعداؤه ، ودبروا له كثيراً من السائس والمؤامرات ، ورموه بالأنانية . فأنشأ صحيفة جديدة أسماها : « الدعوة إلى الشرف والعدل » . ودافع عن مبادئه وأغراضه دفاعاً مجيداً . وكانت هذه الصحيفة خاتمة حياته السياسية . ثم ساءت صحته وألح عليه المرض ، ولكن بنية جسمه القوية ساعدته على التغلب على متاعبه وأمراضه ، فاسترد صحته بعد قليل .

وقد ألف كثيراً من البحوث والمقالات والرسائل في الدين والحكومة والوطن . ثم ألف في أخريات أيامه نخبة من الكتب الشائقة التي أقبل عليها

الجمهور أيما إقبال . وقد أدرك بفطرته تعلق الجمهور بالقصص ، وشدة تأثره بها ، وبهافته عليها ؛ إذا كانت صادقة الوصف والتحليل ، دقيقة في تصوير الحياة . فنال بقصصه نجاحاً عظيماً ؛ لأن قصته كانت تحلق دائماً في جو بحري خلاب يزينه الصدق والدقة والإخلاص .

وفي عام ١٧١٥ م ألف كتاب « معلم الأسرة » فنال تسعاً كبيراً من النجاح والديوع ، وأقبل عليه الجمهور . ثم ألف كتابه الخالد « روبنسن كروزو » وهو أشهر قصصه . وقد ظهر فيه أثر القصة العربية الخالدة : « حى بن يقظان » . ونشر القمم الأول منه في أبريل سنة ١٧١٩ م ، وكان حينئذ قد قارب الستين من عمره .

وقد لى هذا الكتاب من الإقبال والشهرة ما لم يكن يحلم به « ديفو » ، وأصبح حبيباً إلى كل نفس . ومن العجيب أنه لى كثيراً من المتاعب والصعوبات في البحث عن ناشر ينشره له في أول الأمر . وليس في قدرتنا أن نعلم كم ربح من كتابه ، وإن كنا نستطيع أن نعرف مدى نجاحه العظيم ، فقد نفذت منه أربع طبعات متوالية في أربعة أشهر متعاقبة . وبعد زمن قليل ظهر القمم الثاني من القصة ، فلقى من الرواج والنجاح والإقبال مثل ما لى سابقه . وهكذا ظفر « ديفو » بال شهرة عن طريق هذا الكتاب ، ولم يظهر بها عن طريق بحوثه السياسية والدينية الكثيرة ، على أن له عدة

مؤلفات أخرى .

وقد سار على نهجه بعض الكتاب ، ولم يقدر لهم الفوز ولم ينجح من بينهم غير كتاب « روبنسن سويسرا » أو « الأسرة السويسرية » الذي ألفه « رودلف نيس » أستاذ الفلسفة في جامعة « برن » . وقد اختار لقصته أسرة عددها ستة أشخاص ، ينجون من الفرق ؛ فتألف منهم أسرة سميدة متعاونة ، يظللها الوثام والحب ؛ فتتغلب على العقبات والمصاعب .

* * *

على أن « ديفو » له عدة مؤلفات أخرى ، نذكر منها كتابه عن « الطاعون الهائل » الذي انتشر عام ١٦٦٥ م . ولكن لم يرزق أى كتاب من

كتبه حظاً من الخلود كما رزقت قصة « روبنسن كروزو » . ولقد كانت كتبه شائعة جذابة ، ولكن ليس لها سحر هذه القصة ، وروعة هذا الملاح الذى كتب له أن تمرق سفينته وأن يعيش في جزيرة مقفرة .

* * *

ولد ساعده ما ربحه من المال - لقاء كتابته - على أن يقضى بقية حياته مستريح البال ، بعيداً عن الفاقة . فابتنى قصرأ فاخراً ، واشترى عربة وجياداً ، وعاش عيشة راضية . ولكن صفوه لم يدم ؛ فقد نهكه مرض النقرس ، وضايقه عقوق ولده ؛ فمجل ذلك بموته لما استولى عليه من الغم . ودفن في « لندن » في الرابع والعشرين من أبريل سنة ١٧٣١ م

كامل كيرتون

تمهيد

مَقَدِّمَاتُ السَّفَرِ

١ - أُسْرَةُ « رُوَيْسَن »

كَانَتْ وَلادَتِي فِي عَامِ ١٦٣٢ م بِمَدِينَةِ « يُرُك » الَّتِي اتَّخَذَهَا أَبِي
مَوْطِنًا ثَانِيًا لَهُ ، بَعْدَ أَنْ كَسَبَ مِنَ التَّجَارَةِ مَكْسِبَ طَائِلَةٍ ، وَجَنَى^(١)
ثَرْوَةً عَظِيمَةً ، كَفَلَتْ لَهُ عِيشَةً رَاضِيَةً .

وَكَانَتْ أُسْرَتُنَا مُؤَلَّفَةً مِنْ : وَالِدِي الشَّيْخِ ، وَأُمِّي الْمَجُوزِ ، وَثَلَاثَةِ
أَبْنَاءٍ كُنْتُ أَصْغَرَهُمْ سِنًا .

وَقَدْ قُتِلَ شَقِيقِي الْأَكْبَرُ فِي مَعْرَكَةِ حَرْبِيَّةٍ ، وَسَافَرَ الشَّقِيقُ
الْأَوْسَطُ إِلَى حَيْثُ لَا نَدْرِي ؛ فَانْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُ ، وَلَمْ نَعْلَمْ عَنْهُ
— بَعْدَ ذَلِكَ — شَيْئًا .

(١) جع .

وَعُنِيَ أَبِي عِنَايَةً كَبِيرَةً بِتَعْلِيمِي ، وَلَشَأْنِي أَحْسَنَ تَنْشِئَةٍ ، وَزَوَّدَنِي
بِكَثِيرٍ مِنْ نَصَائِحِهِ الثَّمِينَةِ ، وَاخْتَارَ لِي أَنْ أَتَفَقَّهُ فِي الْقَانُونِ^(١)
وَلَكِنِّي كُنْتُ شَدِيدَ الزُّهْدِ فِي دَرْسِهِ ، وَكَانَتْ نَفْسِي مُنْصَرِفَةً عَنْ
ذَلِكَ كُلِّهِ .

٢ - حُبُّ السَّيَاحَةِ

هِيَ أُمْنِيَّةٌ وَاحِدَةٌ ، طَالَمَا تَمَنَّيْتُهَا ، وَرَغْبَةٌ شَدِيدَةٌ ، طَالَمَا وَدِدْتُ
تَحْقِيقَهَا . فَقَدْ شَفِغْتُ^(٢) بِالسَّيَاحَةِ وَرُكُوبِ الْبَحَارِ ، وَتَمَلَّكَ
عَلَيَّ حُبُّ السَّفَرِ كُلِّ نَفْسِي ؛ فَلَمْ أَعُذْ أَصْنِي إِلَى لَوْحٍ أَوْ نَصِيحَةٍ .
وَكَأَنَّ إِرَادَةَ قَاهِرَةً قَدْ هَيَّجَتْ^(٣) عَلَيَّ نَفْسِي ، وَغَلَبَتْ عَلَيَّ أَمْرِي ؛
فَلَمْ أَصْنِ إِلَى نَصِيحَةِ أَبِي ، وَرَجَاءِ أُمِّي ، وَإِلْحَاحِ أَقَارِبِي ؛ حَتَّى يَنْسُوا
مِنْ هِدَايَتِي ، لِمَا رَأَوْهُ مِنْ عِنَادِي وَإِصْرَارِي .

٣ - نَصِيحَةُ وَالِدِي

وَكَانَ أَبِي شَيْخًا مُجَرَّبًا حَكِيمًا ، وَكَُنْتُ أُحِبُّهُ وَأَجِلُّهُ .

(١) أَتَلَّهُ . (٢) تَمَلَّقَ قَلْبِي . (٣) تَلَطَّ .

وَذَا صَبَاحٍ ، دَعَانِي إِلَى غُرْفَتِهِ — وَكَانَ الشَّلَلُ قَدْ أَعْجَزَهُ عَنِ الْمَشْيِ —
وَقَالَ لِي وَقَدْ بَدَتْ عَلَى وَجْهِهِ
أَمَارَاتُ الْغَيْظِ وَالْأَلَمِ :



« أَيْ رَغْبَةً مَجْنُونَةٍ تَدْفَعُكَ
إِلَى مُغَادَرَتِنَا ، وَتُبْغِضُ إِلَيْكَ
الْبَقَاءَ مَعَنَا ؟ وَمَاذَا يُضْجِرُكَ^(١)
مِنْ حَيَاةٍ هَنِئَةٍ وَعَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ ،

فِي بَيْتٍ نَشَأَتْ فِيهِ ، وَوَطَنٍ أَلْفَتْهُ وَأَحْبَبَتْهُ ؟ وَمَا بِالْكَ تُوْثِرُ^(٢)
الْشَّقَاءَ عَلَى الرَّاحَةِ ، وَتُعَرِّضُ نَفْسَكَ لِأَخْطَارِ الْبَحْرِ وَمَتَاعِبِ السَّفَرِ ؟
لَقَدْ يَسِّرَ اللَّهُ لَكَ سَبِيلَ السَّعَادَةِ ، وَهَيَّا لَكَ عَيْشَةً رَاضِيَةً . فَمَا أَجْدَرُكَ^(٣)
أَنْ تَرْضَى بِمَا قَسَمَ اللَّهُ ، وَتَحْمَدَهُ عَلَى هَذِهِ النِّعَةِ الَّتِي اخْتَصَّكَ
بِهَا ! وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِذَا أَصْرَرْتَ عَلَى عِنَادِكَ ، وَأَيَّتَ إِلَّا تَحْقِيقَ
رَغْبَتِكَ الْمَجْنُونَةِ فِي السَّفَرِ ، أَغْضَبْتَنِي ، وَأَغْضَبْتَ أُمَّكَ ، وَأَغْضَبْتَ اللَّهَ
— سُبْحَانَهُ — الَّذِي أَمَرَكَ بِطَاعَةِ آبَائِكَ . »

(١) يضايقك . (٢) تختار . (٣) أحسنك .

٤ - دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ

وَوَظَلَّ أَبِي يَمْنُفُ^(١) فِي كَلَامِهِ تَارَةً ، وَيَلِينُ تَارَةً أُخْرَى ،
وَيَضْرِبُ لِي الْأَمْثَالَ . وَلَمْ يَدَعْ وَسِيلَةً مِنْ وَسَائِلِ النُّصْحِ إِلَّا سَلَكَهَا .
ثُمَّ خَتَمَ حَدِيثَهُ قَائِلًا :

« وَأَذْكُرُ - يَا وَلَدِي - أَنِّي فَقَدْتُ شَقِيقَكَ الْأَكْبَرَ الَّذِي قُتِلَ
فِي الْحَرْبِ ، وَقَدَدْتُ شَقِيقَكَ الْأَوْسَطَ الَّذِي أَصْرَّ عَلَى السَّفَرِ ، كَمَا تُصِرُّ
عَلَيْهِ الْآنَ ؛ وَقَدْ انْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُ عَنَّا إِلَى الْيَوْمِ ، فَمَا تَعْلَمُ : أَحَىُّ هُوَ
أَمْ مَيِّتٌ ؟ وَأَصْبَحْتَ لَنَا - بَعْدَ أَخَوَيْكَ - كُلُّ رَجَائِنَا وَعَزَائِنَا .
فَإِذَا أَصْرَرْتَ عَلَى عِنَادِكَ ، وَأُيِّنْتَ إِلَّا السَّفَرَ ؛ فَلَنْ يُبَارِكَ اللَّهُ لَكَ ؛
وَلَنْ تَلْقَى - فِي سَفَرِكَ - إِلَّا أَلَمًا وَشَقَاءً . »

• • •

وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ تَكْهُنًا^(٢) صَادِقًا ، وَدَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ ؛
فَقَدْ شَقِيتُ - بَعْنَادِي وَإِصْرَارِي^(٣) - شَقَاءَ لَمْ يَلْقَهُ أَحَدٌ قَبْلِي .

(١) يشتد . (٢) إحبارًا بالغيب . (٣) عزمي الثابت .

٥ - عُدُولُهُ عَنِ السَّفَرِ

وَكَانَ صَوْتُ أَبِي مُتَهَدِّجًا^(١) ، وَدُمُوعُهُ تَنَحَدِرُ^(٢) مِنْ عَيْنَيْهِ .
وَقَدْ اشْتَدَّ أَلَمُهُ حِينَ ذَكَرَ لِي مَوْتَ شَقِيقِ الْأَكْبَرِ ، وَاتَّقِطَاعَ أَخْبَارِ
شَقِيقِ الْأَوْسَطِ .

وَكَانَ يَتِمَثَّلُ لِي حَنَانُهُ وَعَظْفُهُ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ يَنْطِقُ بِهَا . وَلَمْ يَكُنْ
فِي وَسْئِي أَنْ أَخَالِفَ لَهُ نَصْحًا بَعْدَ ذَلِكَ ؛ فَوَعَدْتُهُ بِالْعُدُولِ عَنِ السَّفَرِ .
وَعَقَدْتُ عَزْمِي^(٣) عَلَى الْبَقَاءِ فِي وَطَنِي ، نَزُولًا عَلَى حُكْمِهِ ، وَطَاعَةً لِأَمْرِهِ .

٦ - تَقْضِيَةُ الْعَهْدِ

وَبَعْدَ زَمَنِ قَلِيلٍ طَاوَدْتَنِي رَغْبَةٌ قَاهِرَةٌ فِي السَّفَرِ ، وَحَنِينٌ شَدِيدٌ
إِلَى رُكُوبِ الْبَحْرِ فَتَسَيَّتُ مَا عَاهَدْتُ أَبِي عَلَيْهِ ، وَتَحَوَّلْتُ^(٤)
لِلذَلِكَ حِيلَةً لَمْ أُوفِّقْ فِيهَا . فَقَدْ رَأَيْتُ دَلَائِلَ الْإِبْتِهَاجِ بَادِيَةً عَلَى وَجْهِ
أُمِّي - ذَاتَ يَوْمٍ - فَوَجَدْتُ فِي ذَلِكَ فُرْصَةً سَانِحَةً لِلْإِفْضَاءِ إِلَيْهَا بِرَغْبَتِي
فِي السَّفَرِ ، وَاسْتِثْنَانِهَا فِيهِ . وَتَلَطَّعْتُ فِي شَرْحِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَحْفَظُنِي^(٥)

(٢) بنيت لإرادتي .

(٢) سقط .

(١) مرتشاً .

(٥) تدنني .

(٤) اتخذت .

إِلَى السَّفَرِ لِرُؤْيَةِ الْبِلَادِ الَّتِي طَالَمَا سَمِعْتُ عَنْهَا . وَأُظْهِرْتُ لَهَا أَنَّ هَذِهِ
الرَّغْبَةَ قَدْ مَلَأَتْ نَفْسِي ؛ فَلَمْ أَعُدْ أَصْلَحُ لِإِدَاءِ أَيِّ عَمَلٍ آخَرَ ، قَبْلَ
أَنْ أَظْفَرَ بِتَحْقِيقِهَا . وَخَتَمْتُ حَدِيثِي مَعَهَا قَائِلًا :

« وَأَعْلَمِي أَنِّي إِذَا عَجَزْتُ عَنْ الظَّفَرِ بِهَذَا الْإِذْنِ مِنْكَ وَمِنْ أَبِي ،
فَإِنِّي مُعْتَزِمُ السَّفَرِ مِنْ غَيْرِ اسْتِثْنَانٍ . وَلَا تَنْسَى أَنِّي قَدْ بَلَغْتُ الثَّامِنَةَ
عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِي ، وَأَصْبَحْتُ عَاقِلًا رَشِيدًا ، أَمْلِكُ أَمْرِي .
عَلَى أَنِّي أَرَى الْخَيْرَ فِي أَنْ يَأْذَنَ لِي أَبِي فِي السَّفَرِ ، »

٧ - غَضَبُ أَبَوَيْهِ

وَمَا سَمِعَتْ أُمِّي مِنْ هَذَا الْكَلَامِ حَتَّى اشْتَدَّ غَضَبُهَا عَلَيَّ ،
وَقَالَتْ لِي :

« مِنْ الْعَبَثِ أَنْ تَتِمَادَى^(١) فِي إِقْنَاعِنَا بِهَذِهِ الْفِكْرَةِ الطَّائِشَةِ
الَّتِي لَا تَجْرُ عَلَيْكَ إِلَّا الْوَبَالُ^(٢) . وَلَنْ يَسْمَعَ لَكَ أَبُوكَ بِأَنْ تُعْرِضَ
نَفْسَكَ لِلْهَلَاكِ . »

...

(١) تستمر . (٢) سوء العاقبة .

وما أَخْبَرْتَ أَبِي بِمَا اعْتَزَمْتُهُ ، حَتَّى أَشْتَدَّ أَلَمُهُ وَغَيْظُهُ ، وَقَالَ لَهَا :

« يَبْدُو لِي أَنَّ الشَّقَاءَ مُقَدَّرٌ لِهَذَا الْوَلَدِ الْتَائِسِ . وَسَيَلْقَى فِي سَفَرِهِ
مِنَ الْمَصَائِبِ وَالْأَهْوَالِ ، مَا لَا يَحْطُرُّ لَهُ عَلَى بَالٍ . وَسَيَعْرِفُ أَنَّ
مَا يَحُلُّ بِهِ مِنَ النَّكَبَاتِ هُوَ عِقَابٌ عَادِلٌ عَلَى مُخَالَفَتِهِ نَصِيحَةَ أَبِيهِ .
وَلَنْ يَسْمَعَ لِي ضَمِيرِي أَنْ أَشْرَكَهُ فِي تَسْهِيلِ أَسْبَابِ شِقَائِهِ . »

...

وَمَا انْقَضَى عَلَى عَامٍ — بَعْدَ ذَلِكَ — حَتَّى فَرَزْتُ مِنَ الْبَيْتِ ، وَقَدْ
أُزِمْتُ^(١) السَّفَرَ ، بَعْدَ أَنْ عَجَزْتُ عَنِ الظَّفَرِ بِرِضَاءِ أَبِي .
وَكُنْتُ أَعْجَبُ لِمِثْبُتَيْهِمَا^(٢) بِيَقَائِي مَعَهُمَا . وَلَمْ أَعْلَمْ — حِينَئِذٍ —
مَا كَانَ يَخْبُؤُهُ لِي الْقَدَرُ مِنْ مَصَائِبَ وَوَيْلَاتٍ .

(١) قُرِئَتْ . (٢) تَمَلَّقَهُمَا .

الفصل الأول

أَهْوَالُ الْبَحْرِ

١ - أَوَّلُ سَيْتَمَبَر

سَاقَتْنِي الْمُصَادَفَاتُ الْمَجِيئَةُ - ذاتَ يَوْمٍ - إلى « هَلْ » ، وَلَمْ أَكُنْ أَفَكِّرُ - حِينَئِذٍ - فِي السَّفَرِ إِلَيْهَا ، وَلَا خَطَرَ لِي ذَلِكَ يَوْمَئِذٍ عَلَى بَالٍ . وَلَقِيتُ - فِي طَرِيقِي - أَحَدَ أَصْدِقَائِي ، فَحَيَّانِي وَحَيَّيْتُهُ . ثُمَّ عَلِمْتُ مِنْ حَدِيثِهِ أَنَّهُ عَلَى أَهْمِيَةِ السَّفَرِ ^(١) إِلَى « لَنْدَن » . وَدَعَانِي إِلَى السَّفَرِ مَعَهُ فِي سَفِينَةٍ أُبِيه ؛ فَرَأَيْتُهَا فُرْصَةً نَادِرَةً لِتَحْقِيقِ أُمْنِيَّتِي ، دُونَ أَنْ يُسَكِّفَنِي ذَلِكَ أَجْرًا . وَغَلَبَ عَلَيَّ حُبُّ الْبَحْرِ ، فَتَسَيَّتُ كُلَّ شَيْءٍ . وَلَمْ أَخْفِلْ ^(٢) بِإِذْنِ وَالِدِي لِي فِي هَذِهِ الرِّحْلَةِ ، وَلَمْ أَقْدَرْ عَوَاقِبَ الْأُمُورِ . وَهَكَذَا رَكِبْتُ الْبَحْرَ ... وَمَا أَنَسَ لَا أَنَسَ ^(٣) ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي

(١) مستند للرحيل . (٢) لم أهتم . (٣) إن نسيت كل شيء ، فلن أنسى .

أَقْدَمْتُ فِيهِ عَلَى هَذِهِ الْمُجَازَفَةِ . فَقَدْ كَانَ أَشْأَمَ يَوْمٍ فِي تَارِيخِ حَيَاتِي ؛
إِذْ كَانَ فَاتِحَةَ عَهْدِ الشَّقَاءِ .

ذَلِكَ الْيَوْمُ هُوَ أَوَّلُ سِبْتَمْبَرِ عام ١٦٥١ م .

٢ - هُبُوبُ الْمَاصِفَةِ

وَمَا كَادَتْ السَّفِينَةُ تَنْخُرُ^(١) فِي عُرْضِ الْبَحْرِ ، حَتَّى رَأَيْتُ الْأَمْوَاجَ
تَصْطَخِبُ^(٢) وَتَتَنَفَّ^(٣) . وَلَمْ أَكُنْ رَكِبْتُ الْبَحْرَ قَبْلَ هَذَا الْيَوْمِ ؛
فَتَمَلَّكَنِي الْخَوْفُ وَالْفَزَعُ ، وَأَحْسَسْتُ أَنَّ آخِرَتِي قَدْ حَانَتْ .
وَتَشَلَّتْ لِي نَصَائِحُ وَالِدَيَّ وَأَهْلِي ، وَذَكَرْتُ كَلِمَاتِ أُمِّي الَّتِي
كَانَتْ تَقُولُهَا لِي وَالِدُومُعُ مُتَحَدِّدَةً مِنْ مَآقِبِهَا^(٤) . وَأَيَقَنْتُ أَنَّ هَذَا
الْمَاصِفَةَ لَيْسَتْ إِلَّا عِقَابًا حَادِلًا وَجَزَاءً وَفَاقًا .

وَاشْتَدَّ هَيْبُ الْبَحْرِ وَاضْطِرَابُهُ . وَرَأَيْتُ الْمَاصِفَةَ أَلْهَوْجَاءَ ، وَهِيَ
تُنْذِرُنَا بِالْهَلَاكِ - بَيْنَ لَحْظَةٍ وَأُخْرَى - وَقَدْ أَوْشَكَ الْمَوْجُ أَنْ
يَنْتَلِعَنَا جَمِيعًا . وَخِيلَ إِلَيَّ أَنَّ السَّفِينَةَ تَهْبِطُ حَتَّى تَلْسِسَ قَاعَ الْبَحْرِ ،
فَلَمْ أَرْ مَنَاصًا^(٥) مِنَ الْمَوْتِ . وَنَذَرْتُ لِلَّهِ نَذْرًا أَلَّا أَزْكَبَ الْبَحْرَ

(١) تشق الماء . (٢) تتقلب . (٣) تشتد . (٤) جواب ميقبها . (٥) مخرجاً

مَا حَيِّتُ بَعْدَ هَذِهِ الْمَرَّةِ ، إِذَا نَجَوْتُ مِنَ الْهَلَاكِ ! وَدَعَوْتُ اللَّهَ
أَنْ يُنْقِذَنِي ، لِأَعُودَ إِلَى أَبِي تَائِبًا نَادِمًا عَلَى عِصْيَانِي وَخَالَفَتِي ،
وَأُعَاهِدُهُمَا^(١) عَلَى أَنْ أَطِيعَهُمَا فِي كُلِّ مَا يَأْمُرَانِ بِهِ .

...

وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِي سَكَنَ الْهَوَاءُ ، وَهَدَأَ الْبَحْرُ . وَبَدَأْتُ أَشْعُرُ أَنَّي
قَدْ تَمَوَّذْتُهُ وَأَلْفَيْتُهُ بَعْضَ الْأَلْفَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ - حِينَئِذٍ - قَدْ تَمَّ
شِفَاؤِي مِنَ الدُّوَارِ^(٢) .

وَلَمَّا اقْتَرَبَ اللَّيْلُ وَغَرَبَتِ الشَّمْسُ وَانْقَشَمَتِ السُّحُبُ^(٣) ، ظَهَرَتْ
رَوْعَةُ الْبَحْرِ^(٤) ، وَجَمَالُ الطَّبِيعَةِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ . وَهَبَّ عَلَيْنَا فِي الْيَوْمِ
الثَّالِي نَسِيمٌ خَفِيفٌ . وَأَصْبَحَ الْبَحْرُ كَالِإِرَاقِ الصَّافِيَةِ ، وَتَجَلَّتِ الطَّبِيعَةُ
فِي أَبْعَى حُلَاهَا^(٥) . وَرَأَيْتُ مِنْ جَمَالِ الْبَحْرِ - فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ -
مَا أَنْسَانِي هِيَاجُهُ وَاضْطِرَابُهُ بِالْأَمْسِ . فَتَسَبَّحْتُ ذَلِكَ النَّذَرَ الَّذِي نَذَرْتُهُ
قَبْلَهُ ، وَالْعَهْدَ الَّذِي قَطَعْتُهُ عَلَى نَفْسِي !

...

(١) أحلف لهما . (٢) وجع يمسبب الرأس من ركوب البحر . (٣) زالت .
(٤) حسن منظره . (٥) أجل أنوارها .

وَجَاءَ إِلَى صَدِيقِي يُرَبِّتُ كَتِفِي وَيَقُولُ :

« كَيْفَ تَجِدُكَ الْآنَ ؟ شَدَّ مَا رَوَّعَكَ ^(١) الْبَحْرُ ، يَا صَدِيقِي .
وَمَا كَانَ أَجْدَرَكَ ^(٢) بِالشَّجَاعَةِ ، فَقَدْ امْتَلَأَتْ نَفْسُكَ خَوْفًا وَرُعبًا حِينَ
هَبَّتْ عَلَيْنَا نَسَمَةٌ لَطِيفَةٌ مِنَ الْبَحْرِ . »

فَقُلْتُ لَهُ مُتَعَجِّبًا : « كَيْفَ تُسَمِّيهَا نَسَمَةً ، وَهِيَ عَاصِفَةٌ هَوَّاجَةٌ
مُرَوَّعةٌ ؟ »

فَقَالَ لِي : « وَكَيْفَ تُسَمِّيهَا عَاصِفَةً ؟ يَا لَكَ مِنْ سَادِجٍ !
إِنَّهَا نَسَمَةٌ خَفِيفَةٌ ، طَالَمَا أَلْفَنَاهَا وَهَزْنُهَا بِهَا . فَلَا تَجْزَعُ مِنْ
أَمْثَالِهَا ؛ فَإِنَّتَ رَجُلٌ ، وَمَا أَجْدَرَ الرَّجُلَ أَنْ يَكُونَ شُجَاعًا ! »

٣ - فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ

وَقَدْ أَنْسَانِي هُدُوءُ الْبَحْرِ وَصَفَاؤُهُ كُلُّ آلاَمِي وَأَحْزَانِي . وَشَغَلَنِي
التَّأَمُّلُ فِي جَمَالِ الطَّيِّبَةِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَلَمْ يَنْقُصْ عَلَيَّ سَبْعَةُ أَيَّامٍ

(١) أزعجك . (٢) ما أهلك .

حَتَّى اطْمَأْنَنْتَ نَفْسِي إِلَى حَيَاةِ الْبَحْرِ ؛ وَلَمْ أَعُدْ أَذْكُرْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِي ،
وَنَسِيتُ كُلَّ مَا زَوَّدُونِي بِهِ مِنْ نَصَائِحَ . وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ الثَّامِنِ
عَنَقَتِ الرِّيحُ ، وَاشْتَدَّتْ اشْتِدَادًا لَا مِثِيلَ لَهُ : وَبَدَأَ الْقَلْقُ وَالْإِضْطِرَابُ
عَلَى أَسَارِيرِ الْمَلَّاحِينَ^(١) ؛ فَأَنْزَلُوا أَسْرِعَةَ السَّفِينَةِ ، وَتَأَهَّبُوا^(٢) لِمُلَاقَاةِ
الْخَطَرِ وَجْهًا لَوَجْهِهِ . وَلَمَّا جَاءَ وَقْتُ الظُّهْرِ اشْتَدَّ هَيَاجُ الْبَحْرِ ، وَدَبَّ
الْيَأْسُ فِي نُفُوسِنَا جَمِيعًا . وَسَمِعْتُ رُبَّانَ السَّفِينَةِ — وَقَدْ كَانَ مِثَالِ
الشَّجَاعَةِ وَالْحَزْمِ — وَهُوَ يُنَاجِي نَفْسَهُ بِصَوْتٍ خَافِتٍ : « رَحْمَةُ بِنَا
يَا إِلَهِي ! فَقَدْ هَلَكْنَا جَمِيعًا ، وَلَمْ يَبْقَ لَنَا مَلْجَأٌ سِوَاكَ . »

وَامْتَلَأَتْ نَفْسِي رُغْبًا ؛ إِذْ رَأَيْتُ الْأَمْوَاجَ تَرْتَفِعُ كَالْجِبَالِ ، وَتَنْقَضُ^(٣)
عَلَيْنَا فِي كُلِّ لَحْظَةٍ ، فَيُخَيِّلُ إِلَيْنَا أَنَّهَا قَدْ ابْتَلَمَتْنَا . وَرَأَيْنَا السُّفْنَ
الْقَرِيبَةَ ثَمَانِي مِثْلَ مَا ثَمَانِيهِ ، وَقَدْ غَرِقَتْ سَفِينَةٌ كَبِيرَةٌ بِالْقُرْبِ مِنَّا .
وَمَا انْتَصَفَ اللَّيْلُ حَتَّى صَاحَ أَحَدُ الْمَلَّاحِينَ يَطْلُبُ مِنْ رِفَاقِهِ النُّجْدَةَ
وَالْعَوْتَ ؛ فَقَدْ ثَقِبَتِ السَّفِينَةُ ! وَأَسْرَعْنَا إِلَيْهِ ، فَرَأَيْنَا ثُغْرَةً^(٤) يَتَدَفَّقُ

(١) خطوط جيئهم (٢) استمدوا (٣) تسقط (٤) غرقاً .

مِنْهَا الْمَاءُ . وَتَعَاوَنَّا جَمِيعًا عَلَى إِخْرَاجِ الْمَاءِ مِنَ السَّفِينَةِ . وَأَطْلَقَتْ
إِخْدَى السُّفُنِ الْقَرِيبَةِ مِنَّا مِدْفَعًا ، إِنْذَارًا بِالْخَطَرِ ، وَطَلَبًا لِلنَّجْدَةِ .
وَقَدْ أَغْبَى عَلَى مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ .

وَلَمْ أَفِقْ مِنْ غَشْيَتِي إِلَّا بَعْدَ زَمَنٍ طَوِيلٍ . وَأَطْلَقَ رُبَّانُنَا مِدْفَعًا ،
الْتِمَاسًا لِلنَّجْدَةِ . فَدَنَتْ مِنَّا سَفِينَةٌ صَغِيرَةٌ لِإِقْظَاذِنَا ، وَحَمَلَتْنَا إِلَى بَاخِرَةِ
قَرِيبَةٍ . وَلَمْ نَسْتَطِعْ أَنْ نَصِلَ إِلَيْهَا إِلَّا بَعْدَ عَنَاءٍ^(١) شَدِيدٍ .

• • •

وَبَعْدَ دَقَائِقَ قَلِيلَةٍ رَأَيْنَا سَفِينَتَنَا وَهِيَ تَفْرُقُ . وَمَضَى عَلَيْنَا زَمَنٌ
طَوِيلٌ وَنَحْنُ مُسْتَهْدِفُونَ^(٢) لِلْخَطَرِ بَيْنَ لَحْظَةٍ وَأُخْرَى . وَلَمْ نَبْلُغِ
السَّاطِئِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ خَارَتْ^(٣) قُوَانَا وَيَثُسْنَا مِنَ النُّجَاةِ .

٤ — بَعْدَ النُّجَاةِ مِنَ الْغَرَقِ

وَلَقَدْ كَانَ جَدِيرًا بِي — بَعْدَ أَنْ بَمَنَ اللَّهُ عَلَى بِالسَّلَامَةِ مِنْ
الْغَرَقِ — أَنْ أَفِي بِنَذْرِي ، وَأَعُودَ إِلَى أَهْلِي تَائِبًا نَادِمًا عَلَى مَا قَرَّطُ^(٤)

(١) تعب . (٢) مستهدفون . (٣) ضيعت . (٤) ما سبق وقوعه .

مِنِّي . وَلَكِنْ غُرُورَ الشَّبَابِ ^(١) حَالِ يَتَنِي وَبَيْنَ تَحْقِيقِ هَذِهِ الْفِكْرَةِ
النَّبِيلَةِ . فَقَدْ تَمَثَّلَتْ لِي شِمَاتُهُ النَّاسِ بِي ، وَسُخْرِيَتُهُمْ مِنِّي ؛ لِمَا لَحَقَنِي
مِنَ التَّكَبُّاتِ فِي تِلْكَ الرُّحْلَةِ الْمَشْثُومَةِ . وَخُيِّلَ إِلَيَّ أَنَّني إِذَا عُدْتُ
إِلَى أَهْلِي ، أَصْبَحْتُ سُخْرِيَةَ النَّاسِ . وَعَزَّ عَلَى نَفْسِي أَنْ أُعْتَرِفَ بِخَطِيئِي .
وَقَدْ كَلَّفَنِي هَذَا الْغُرُورُ ثَمَنًا غَالِيًا جِدًّا ؛ فَقَدْ دَفَعَنِي الْعِنَادُ إِلَى اقْتِحَامِ
الْأَخْطَارِ وَرُكُوبِ الْبِحَارِ ، وَلَقِيتُ مِنَ الْمَصَائِبِ مَا لَمْ يَخْطُرْ لِي
عَلَى بَالٍ .

فَرَمْتُ — بَعْدَ أَنْ سَافَرْتُ إِلَى « لَنْدَن » — عَلَى مُرَافَقَةِ جَمَاعَةٍ
مِنَ الْمَلَّاحِينَ فِي رِحْلَتِهِمْ إِلَى شَوَاطِئِ إِفْرِيقِيَّةِ . وَلَمْ أَعْلَمْ مَا يَنْبُوهُ
لِي الْقَدَرُ مِنَ الْمَتَاعِبِ وَالْآلَامِ .

(١) خداعه وباطله .

الفصل الثاني

بَيْنَ الْأَسْرِ وَالْحُرِّيَّةِ

١ - رَحْلَةُ مُوَقَّةَ

كَانَ مِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ تَكُونَ حَيَاتِي الْقَابِلَةَ سِلْسِلَةً مِنَ الْكَوَارِثِ^(١) رَأْسَكَبَاتٍ ، فَلَا أَجْلُصَ مِنْ مُصِيبَةٍ حَتَّى تُسَلِّتَنِي إِلَى أُخْرَى ، وَلَا أَنْجُوَ مِنْ مَازِقٍ^(٢) حَتَّى أَقَعَ فِي مَازِقٍ شَرٍّ مِنْهُ . فَقَدْ أَغْضَبْتُ وَالِدِي وَأَهْلِي ، وَأَهْمَلْتُ نَصَائِحَهُمْ ، وَخَرَجْتُ مِنْ بَيْتِي بِلا إِذْنٍ مِنْهُمْ . وَثَمَّةَ أَيْقَنْتُ أَنَّ مَا حَلَّ بِي مِنَ الْكَوَارِثِ لَمْ يَكُنْ إِلَّا عِقَابًا مُدِلًّا عَلَى تَمَرُّدِي وَعِصْيَانِي .

لَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى مُوَاصَلَةِ السَّفَرِ ، بَعْدَ أَنْ عَزَّ عَلَى أَنْ أَعُودَ إِلَى بَيْتِي مُخْفِقًا^(٣) . وَأَرَدْتُ أَنْ أَصْلِحَ الْخَطَأَ الْأَوَّلَ بِخَطِئَةٍ أُخْرَى ، أَكْثَرَ شَنْاعَةً مِنْهُ . فَمَا صَاحَبْتُ رُبَّانَ إِحْدَى السُّفُنِ - وَكَانَ أَوَّلَ شَخْصٍ لَقِيتُهُ مِنَ الْمَلَّاحِينَ - حَتَّى أَعَزَّمْتُ مُرَاقَقَتَهُ فِي رِحْلَتِهِ .

(١) المصائب . (٢) ضيق وشدة . (٣) غالباً .

وكانت سفينته ذاهبة إلى شواطئ « غانة » وقد أخبرني بما لقي من نجاح ، وما أفاد من غنى وثروة ، في رحلته الأولى إلى تلك البلاد . وما تعرف قصتي حتى شجعتني على مصاحبته ، وأعفاني من نقات الرحلة . واقترح علي أن أشتري — بما معي من النقود — بضائع لاتجرب بها في تلك البلاد ؛ ففعلت كل ما أشار به علي . ونجعت هذه الرحلة . وقد بذل جهده في تدريبي على الملاحة والتجارة . وعدت إلى « لندن » مقتبطاً راضياً بما أصبته من ربح وتوفيق .

٢ - لُصُوصُ الْبَحْرِ

وبعد أيام قليلة توفي ذلك الربان . فحرنت ليموته حزناً شديداً ؛ ومنحت أرملته مائتي جنيه . وشريت بضائع بمائة الجنيه الباقية معي ، وأبحرت إلى « غانة » . ولكن رحلتنا — في هذه المرة — لم تكن موفقة ؛ فقد أغترصنا لُصُوصُ الْبَحْرِ في الطريق ، فأطلقنا لسفینتنا العنان ، وحاولنا النجاة منهم . وكان في سفینتنا اثنا عشر مديناً ،

وَعِنْدَ أَعدائِنَا ثمانيةَ عَشَرَ مِدفَعًا . وَكُنَّا أَقلَّ مِنْهُمُ عَدَدًا ، وَلَكِنَّا
 اسْتَبَسَلْنَا فِي دِفَاعِنَا وَقَهَرْنَاهُمْ مَرَّتَيْنِ . ثُمَّ كَرُّوا عَلَيْنَا - فِي الْمَرَّةِ
 الثَّالِثَةِ - فَقَهَرُونَا ، وَحَطَّمُوا قِلَاعَنَا ، وَقَتَلُوا ثَلَاثَةً مِنْ رِجَالِنَا ،
 وَجَرَحُوا ثمانيةً ؛ فَاضْطَرَرْنَا إِلَى الْإِذْعَانِ لَهُمْ ، وَوَقَعْنَا فِي أَسْرِهِمْ .

٣ - الْعُبُودِيَّةُ

وَقَدْ أَعْجَبَ الرَّبَّانُ بِنِشَاطِي ؛ فَاتَّخَذَنِي عَبْدًا لَهُ . وَلَبِثْتُ فِي
 خِدْمَتِهِ عَامَيْنِ كَامِلَيْنِ ، وَأَنَا أَفْكَرُ فِي وَسِيلَةِ الْهَرَبِ فَلَا أَوْفَقُ .
 وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَصْغَبُنِي لِأَصْطِلَادَ مَعَهُ ، وَقَدْ وَثِقَ بِي فِي كُلِّ أَعْمَالِهِ .



وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ ، طَلَبَ
 مِنِّي الرَّبَّانُ أَنْ أَصْطِلَادَ سَمَكًا
 لِيَتَمَشَّى بِهِ مَعَ صُيُوفِهِ ؛ فَرَأَيْتُ
 الْفُرْصَةَ سَانِحَةً لِلْهَرَبِ ؛ فَقَدْ
 تَرَكْتُ لِي الرَّبَّانُ سَفِينَةَ الصَّيْدِ ،
 وَلَمْ يَكُنْ يَصْغَبُنِي إِلَّا فَتًى

رَقِيقٌ ، وَرَجُلٌ مِنْ أَقْرَبِ الرُّبَّانِ . فَقُلْتُ لِلرَّجُلِ :
 « يَجِبُ أَنْ تُعِدَّ لَنَا زَادًا ^(١) نَأْكُلُهُ حَتَّى لَا نَشْرَكَ سَيِّدَنَا فِي أَكْلِهِ . »
 فَأَقَرَّنِي عَلَى هَذَا الرَّأْيِ ، وَأَخْضَرَ لَنَا سَلَّةً مِنَ الْفَطَائِرِ الْيَابِسَةِ
 وَالْخُشْكَنَانِ ^(٢) ، وَثَلَاثَ جَرَّاتٍ مَمْلُوءَةٍ مَاءً . وَذَهَبْتُ إِلَى مَخْزَنِ
 الرُّبَّانِ ؛ فَأَخْضَرْتُ مَعِيَ قَاسًا وَقَدُومًا وَحِبَالًا ، وَطَلَبْتُ مِنَ الرَّجُلِ
 أَنْ يُخْضِرَ لَنَا بُنْدُقِيَّاتٍ وَرِصَاصًا لِنَصْطَادَ بِهَا ، فَأَخْضَرَ لِي مَا طَلَبْتُ .
 وَهَكَذَا أَعْدَدْتُ كُلَّ مُعَدَّاتِ الْحَرْبِ .

٤ - الْفِرَارُ

لَقَدْ أَزْمَنْتُ الْفِرَارَ ^(٣) ، وَلَمْ أَكُنْ عَلَى ثِقَةٍ مِنَ النَّجَاحِ ؛ وَلَكِنِّي
 أَقْنَنْتُ أَنَّ الْعَزِيمَةَ الصَّادِقَةَ تَتَغَلَّبُ عَلَى كُلِّ عَقَبَةٍ تَقْتَرِضُهَا ، مَا دَامَ
 الْيَأْسُ لَا يَعْرِفُ سَبِيلًا إِلَيْهَا .

وَمِثْرًا مَسَافَةً طَوِيلَةً وَأَنَا أَوْهَمُ الرَّجُلِ أَنَّي جَادٌّ فِي تَحْقِيقِ فِكْرِهِ
 الرُّبَّانِ . ثُمَّ غَافَلْتُهُ وَقَذَفْتُ بِهِ إِلَى الْبَحْرِ - وَكَانَ مَاهِرًا فِي السُّبْحَةِ -

(١) طَعَامًا . (٢) الْبُكَوَيْت . (٣) اعْتَمَدْتُ الْحَرْبَ .

وَرَأَيْتُهُ يُوشِكُ أَنْ يَلْحَقَ بِي ، فَصَوَّبْتُ بُنْدُقِيَّتِي إِلَى رَأْسِهِ ، وَهَدَدْتُهُ
بِالْقَتْلِ إِذَا تَتَبَعَنِي ؛ فَاضْطُرُّ
لِلرُّجُوعِ إِلَى الشَّاطِئِ ، بَعْدَ أَنْ
يَيْسَ مِنَ الظَّفَرِ بِي .



وَسَأَلْتُ الْفَتَى : « أَتُمَاهِدُنِي
عَلَى الْوَفَاءِ ، أَمْ تَعُودُ أَذْرَاجَكَ
كَمَا حَادَ هَذَا الرَّجُلُ ؟ فَإِنِّي
عَامِلٌ عَلَى قَتْلِكَ إِذَا لَاحَ (١)
لِي مِنْكَ الْغَدْرُ . »

فَابْتَسَمَ لِي الْفَتَى ، وَأَقْسَمَ : إِنَّهُ لَنْ يَتَرَدَّدَ فِي إِطَاعَةِ أَمْرِي
وَالنَّهَابِ مَعِيَ إِلَى حَيْثُ أُرِيدُ . وَظَلَّلْنَا فِي سَيْرِنَا خَمْسَةَ أَيَّامٍ ، وَالرَّيْحُ
مُتَمَدِّلَةٌ وَالْبَحْرُ هَادِيٌّ وَقَدْ أَيقَنْتُ أَنَّ الرِّبَّانَ لَنْ يَسْتَطِيعَ الْإِلْحَاقَ
بِنَا بَعْدَ ذَلِكَ . فَلَمَّا حَانَ الْمَسَاءُ ، دَنَوْتُ مِنَ الشَّاطِئِ ، وَاعْتَزَمْتُ
قَضَاءَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ بِالتُّرْبِ مِنْهُ .

٥ - الْوُحُوشُ الْمُفْتَرِسَةُ

نَمْ خَطَرَ لِي أَنْ أَخْرُجَ لَيْلًا إِلَى الشَّاطِئِ لِأَتَعَرَّفَ : أَيْنَ نَحْنُ ؟
وَلَيْكُنَّا سَمِعْنَا أَصْوَاتًا مُرَوِّعَةً ، وَأَحْسَسْنَا أَنَّ وَحُوشًا تَزَارُ بِالْقُرْبِ
مِنَّا ؛ فَالَحَّ عَلَى الْفَتَى أَلَّا أَغَادِرَ الْمَرْكَبَ حَتَّى لَا تَتَعَرَّضَ لِلْهَلَاكِ .
وَقَضَيْنَا لَيْلَتَنَا سَاهِرَيْنِ بِالْقُرْبِ مِنَ الشَّاطِئِ ، وَنَحْنُ مُتَحَفِّزَانِ^(١)
لِنَفِجَ غَارَةً هَذِهِ الْوُحُوشِ^(٢) ، إِذَا أَقْبَلَتْ نَحُونَا .
وَرَأَيْتُ سِرْبًا مِنْهَا يَتَقَدَّمُ إِلَى مَرْكَبِنَا ؛ فَأَطْلَقْتُ رَصَاصَةً عَلَى أَحَدِهَا ،



فَادَتْ الْوُحُوشُ أَذْرَاجَهَا ، وَهِيَ
تُزْمَجِرُ^(٣) ، وَقَدْ تَمَلَّكَهَا الذُّغْرُ
حِينَ سَمِعَتْ دَوَى الرِّصَاصِ ،
وَلَمْ يَكُنْ لَهَا بِسْمَاعِهِ عَهْدٌ .
وَاشْتَدَّتْ حَاجَتُنَا إِلَى الْمَاءِ ؛
فَارَادَنِي الْفَتَى عَلَى أَنْ أَبْقَى
فِي السَّفِينَةِ ، وَأَعْهَدَ إِلَيْهِ أَنْ يَنْلَأَ

(٢) تصيح .

(١) شهيان . (٢) هجومها .

الْجَرَّةَ ، فَسَأَلْتُهُ : لِمَاذَا يَتَشَبَّثُ^(١) بِالذَّهَابِ ؟
 فَقَالَ لِي : « أُرِيدُ أَنْ أَتَمَرَّضَ لِلْخَطَرِ وَخَدِي . فَإِذَا قُتِلْتُ فِي الطَّرِيقِ
 سَهَّلَ عَلَيْكَ أَنْ تَنْجُوَ بِنَفْسِكَ . »
 فَأَكْبَرْتُ^(٢) إِخْلَاصَهُ ، وَأَيَّدْتُ إِلَّا النَّهَابَ مَعَهُ . وَرَسَوْنَا بِالْقُرْبِ
 مِنَ الشَّاطِئِ ؛ وَابْتَعَدَ أَلْفَتَى عَنِّي قَلِيلًا ، ثُمَّ طَادَ مُسْرِعًا وَقَدْ اصْطَلَدَ
 أَرْبَابًا ، وَاهْتَدَى إِلَى مَكَانِ الْمَاءِ . وَثُمَّ^(٣) أَكَلْنَا الْأَرْبَابَ مَسْرُورِينَ ،
 وَاسْتَأْتَقْنَا السَّيْرَ بِالْقُرْبِ مِنَ الشَّاطِئِ .

٦ - صَيْدُ الْأَسَدِ

وَالْتَفَتَ إِلَى أَلْفَتَى فَجَاءَتْ يَحْتَثِي^(٤) عَلَى أَنْ أَبْعَدَ عَنِ الشَّاطِئِ ،
 وَكَانَ بَصَرُهُ حَدِيدًا^(٥) ؛ فَلَمَحَتْ أَسَدًا جَائِعًا مِنْ بَعِيدٍ ، وَكَانَ
 ضَخَمَ الْجِسْمِ .

وَقَدْ أَشْتَدَّ ذُعْرُ أَلْفَتَى مِنْهُ ؛ فَطَلَبَتْ إِلَيْهِ أَنْ يَسْكُنَ حَتَّى لَا يُنْبَهَ
 الْأَسَدَ . ثُمَّ حَشَوَتْ بُنْدُقِيَّاتِي الثَّلَاثَ رَصَامًا ، وَصَوَّبَتْ الْأُولَى إِلَى
 رَأْسِهِ ، وَهُوَ نَائِمٌ . وَكَانَ الْأَسَدُ وَاضِعًا إِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى فِيهِ^(٦) ؛

(١) يصر . (٢) عظمت . (٣) هناك . (٤) يستعجلي . (٥) قريبًا . (٦) فمه .



فَأَصَابَتِ الرِّصَاصَةُ سَاقَهُ ، فَحَطَّطَتْ عَظْمَهَا . فَوَقَفَ مَذْهُورًا عَلَى سُوقِهِ
 الثَّلَاثِ . وَاشْتَدَّ زَيْبُهُ ؛ فَأَاطَلَتْ عَلَيْهِ رِصَاصَةٌ ثَانِيَةً ، فَخَرَّ^(١)
 صَرِيحًا مُجَدِّلاً^(٢) يَتَشَحَّطُ^(٣) فِي دَمِهِ . وَأَسْرَعَ الْفَتَى إِلَى الْأَسَدِ ،
 فَأَفْرَغَ رِصَاصَةً فِي أُذُنِهِ ؛ فَهَمَدَ الْأَسَدُ مِنْ سَاعَتِهِ .
 وَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى مَا فَعَلْتُ ؛ فَقَدْ أَضَعْتُ ثَلَاثَ رِصَاصَاتٍ فِي قَتْلِ
 الْأَسَدِ ، وَلَيْسَ لَنَا فِي لَحْمِهِ غَذَاءٌ .

(١) سقط . (٢) مرتباً . (٣) يضطرب .

وَأَسْرَعَ الْفَتَى إِلَى الْأَسَدِ ، وَحَاوَلَ أَنْ يَقْطَعَ رَأْسَهُ بِفَأْسِهِ ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ ، فَاصْتَقَى بِقَطْعِ إِحْدَى يَدَيْهِ ، وَحَمَلَهَا إِلَى . ثُمَّ تَعَاوَنَّا عَلَى سَلْخِهِ فِي مَدَى يَوْمٍ كَامِلٍ ، وَجَفَفَتْهُ الشَّمْسُ فِي مَدَى يَوْمَيْنِ ، ثُمَّ أَبْجَرْنَا عَشْرَةَ أَيَّامٍ - صَوْبَ الْجَنُوبِ - وَقَدْ أَوْشَكَ زَادُنَا أَنْ يَنْتَهِيَ . ثُمَّ سِرْنَا عَشْرَةَ أَيَّامٍ أُخَرَ ، وَنَحْنُ نَدْعُو اللَّهَ أَنْ نَلْتَقِيَ بِإِحْدَى الْأُسْفُنِ الذَّاهِبَةِ مِنْ « أَوْرُبَّة » إِلَى « غَانَة » أَوْ الْآتِيَةِ مِنْ « غَانَة » إِلَى « أَوْرُبَّة » . وَلَمْ يَكُنْ يُعْزِينَا^(١) فِي رِحْلَتِنَا شَيْءٌ سِوَى هَذَا الْأَمَلِ ، فَإِذَا أَخْفَقَ فَلَيْسَ أَمَانًا إِلَّا الْهَلَاكُ .

٧ - عَلَى الشَّاطِئِ

وَرَأَيْنَا جَمَاعَةً مِنَ الرِّجَالِ بِالقُرْبِ مِنَ الشَّاطِئِ وَهُمْ عُرَاةٌ . وَقَدْ أَرَدْتُ الذَّهَابَ إِلَيْهِمْ ، فَحَوَّلَنِي الْفَتَى عَنْ هَذَا الْعَزْمِ . وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ أَسْلِحَةٌ ، مَا عَدَا رَجُلًا مِنْهُمْ كَانَ يَحْمِلُ عَصًا صَغِيرَةً . فَأَمَرْتُ إِلَيْهِمْ أَنْ يَجِئُوا ، فَطَلَبُوا مِنِّي أَنْ أَرْسُوَ قَرِيْبًا . وَأَسْرَعَ اثْنَانِ مِنْهُمْ فَأَحْضَرَا إِلَى خُبْرًا وَقِطْعَتَيْنِ مِنَ اللَّحْمِ بَعْدَ نِصْفِ سَاعَةٍ .

(١) يصبرنا .

وَكُنَّا خَائِفِينَ مِنْهُمْ ، كَمَا كَانُوا خَائِفِينَ مِنَّا ؛ فَمَا وَضَعَ الرَّجُلَانِ
مَا أَخْضَرَاهُ لَنَا عَلَى الشَّاطِئِ حَتَّى تَقَهَّقَا رَجَاءً أَنْ يَأْمَنَا شَرُّنَا . فَلَمَّا أَخَذْنَا
الزَّادَ وَرَجَعْنَا إِلَى السَّفِينَةِ ، صَادَا إِلَى الشَّاطِئِ عِنْدَ إِخْوَانِهِمَا . وَلَمْ يَكُنْ
مَعَنَا مَا تُعْطِيهِمْ لِيَأْمُوا ؛ فَكَتَفَيْنَا بِشُكْرِهِمْ .

وَإِنَّا لَكَذَلِكَ ، إِذْ أَقْبَلَ وَحْشَانِ هَاتِلَانِ ، أَحَدُهُمَا يَجْرِي خَلْفَ
الْآخَرِ مِنَ الْجَبَلِ إِلَى الْبَحْرِ . فَقَرَّ الرَّجُلُ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا حَامِلُ
الْعَصَا . ثُمَّ هَوَسَى الْوَحْشَانِ إِلَى الْبَحْرِ يَسْبَحَانِ وَيَلْهُوَانِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ أَحَدُهُمَا
إِلَى مَرَكِبِنَا حَتَّى كَادَ يُدَانِينَا . فَأَطْلَقْتُ رَصَاصَةً عَلَى رَأْسِهِ ؛ فَصَرَخَتْهُ مِنْ
فُؤَادِهِ^(١) . وَظَلَّ يَهْوِي إِلَى الْقَاعِ مَرَّةً ، وَيَطْفُو^(٢) عَلَى سَطْحِ الْمَاءِ مَرَّةً
أُخْرَى ، وَهُوَ يَمْدُو^(٣) نَحْوَ الشَّاطِئِ . وَلَكِنَّهُ مَاتَ فِي مُتَنَصِفِ الطَّرِيقِ ،
وَهَرَبَ الْحَيَوَانُ الْآخَرُ إِلَى الْجَبَلِ . وَضَجَّ الرَّجُلُ إِعْجَابًا بِنَا ، وَدَهْشَةً
مِنَّا . عَلَى أَنَّهُمْ قَدْ اشْتَدَّ رُغْبُهُمْ ، وَسَقَطَ بَعْضُهُمْ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شِدَّةِ
الذُّعْرِ . فَأَشْرَفْتُ إِلَيْهِمْ لِأَطْمَئِنِّهِمْ حَتَّى زَالَ خَوْفُهُمْ ، وَسَكَتَتْ نُفُوسُهُمْ .

• • •

(٣٠) يجرى .

(٢) يعلو .

(١) قتله الحمال .

ثُمَّ تَمَازُونَا عَلَى سَلِخِ ذَلِكَ الْحَيَوَانِ ، وَقَدَّمُوا إِلَيَّ جُزْءًا مِنْ لَحْمِهِ
لَا كُلَّهُ ؛ فَلَمْ أَقْبَلْهُ ، وَشَكَرْتُ لَهُمْ ذَلِكَ ، وَأَكْتَفَيْتُ بِجِلْدِ الْحَيَوَانِ ،
فَأَعْطَوْنِيهِ وَمَعَهُ شَيْءٌ مِنْ زَادِهِمْ .

فَقَبِلْتُ هَدِيَّتَهُمْ شَاكِرًا مُسْرُورًا ، ثُمَّ أَشَرْتُ إِلَيْهِمْ أَنَّنِي فِي حَاجَةٍ
إِلَى الْمَاءِ ، وَأَعْطَيْتُهُمُ الْجِرَّةَ فَارِغَةً .
فَفَهِمُوا مَا طَلَبْتُ ، وَمَتَّئَوْهَا لِي مِنْ
قُورِهِمْ . ثُمَّ حَيَّتُهُمْ وَأَنْصَرَفْتُ
مُسْتَأْنَفًا^(١) سَبْرِي نَحْوَ الْجَنُوبِ .
وَمَا زِلْتُ كَذَلِكَ أَحَدَ عَشَرَ يَوْمًا .



٨ - الْأَمَلُ بَعْدَ الْيَأْسِ

وَكَانَ مَرْكَبِي يَسِيرُ فِي الْبَحْرِ مُتَعَسِّفًا^(٢) ، وَقَدْ كِدْتُ أَفْقِدُ الْأَمَلَ
فِي النِّجَاحِ . وَلَمْ أَكُنْ أَذْرِ إِلَى أَيِّ مَكَانٍ أَذْهَبُ ؟ وَأَيَّ غَايَةٍ
أَيْتُمُ^(٣) ؟ وَأَشْتَدُّ أَرْتِبَاكِي ، وَزَادَ نَدْيِي عَلَى مَا سَلَفْتُ مِنْ عِصْيَانِ

(١) عائداً إلى . (٢) ضالاً على غير هدى . (٣) أقصد .

وَالَّذِي . وَذَكَرْتُ مَا جَرَّ نِي إِلَيْهِ الْغُرُورُ وَالْحَمَاقَةُ ؛ فَاسْتَغْفَرْتُ اللَّهَ
 نَادِمًا عَلَى مَا قَرَّطَ مِنِّي ، وَدَعَوْتُهُ أَنْ يُبَسِّرَ لِي طَرِيقَ الْخَلَاصِ .
 وَإِنِّي لَنَاقِرٌ فِي هَذِهِ التَّأْمَلَاتِ إِذْ أَقْبَلَ الْفَتَى عَلَى وَهْوٍ يَصِيحُ ،
 وَقَدْ كَادَ الْخَوْفُ يَفْقِدُ لِسَانَهُ : « انْظُرْ هَذِهِ السَّفِينَةَ الْكَبِيرَةَ
 يَا سَيِّدِي ، فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ تَكُونَ سَفِينَةَ الرُّبَّانِ . »
 أَمَّا أَنَا فَقَدْ كُنْتُ عَلَى يَقِينٍ أَنَّ الرُّبَّانَ لَنْ يَهْتَدِيَ إِلَيْنَا .
 وَمَا رَأَيْتُ السَّفِينَةَ حَتَّى عَرَفْتُ ، عَلَى بُعْدِ الْمَسَافَةِ ، أَنَّهَا بُرْتَمَالِيَّةٌ .

* * *

وَبَدَلْتُ جُهْدِي فِي الدُّنُو^(١) مِنْ السَّفِينَةِ لِأَتَعَرَّفَ رَاكِبِيهَا فَلَمْ
 أَفْلِسْ ؛ فَيَنْسَتْ مِنْ اللَّحَاقِ بِهِمْ . وَلَكِنْ أَحَدُهُمْ رَأَى بِيَجْهَرِهِ^(٢)
 وَقَدْ أَطْلَقْتُ بُنْدُوقِي ، لِأَشْعِرَهُمْ أَنَّنِي فِي خَطَرٍ .
 وَقَدْ اسْتَطَعْتُ بَعْدَ جُهْدٍ كَبِيرٍ أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بَعْدَ ثَلَاثِ سَاعَاتٍ .
 وَمَا عَرَفُوا قِصَّتِي ، حَتَّى أَكْرَمُوا وَفَادَتِي^(٣) ؛ فَأَهْدَيْتُ إِلَى رُبَّانِ
 السَّفِينَةِ كُلِّ مَا مَعِيَ ، فَلَمْ يَقْبَلْ شَيْئًا جَزَاءَ لَهُ عَلَى صُنْعِهِ .
 وَقَدْ فَاضَ قَلْبِي سُرُورًا بَعْدَ أَنْ تَحَقَّقَ أَمَلِي فِي النِّجَاحِ .

(١) القرب . (٢) بمنظاره المكبر . (٣) قدومي .

٩ - فِي الطَّرِيقِ إِلَى « الْبَرَاذِيلِ »

وَكَانَتِ السَّفِينَةُ ذَاهِبَةً إِلَى « الْبَرَاذِيلِ ». وَقَدْ حَظَرَ الرُّبَّانُ عَلَى الْمَلَّاحِينَ أَنْ يَمَسُّوا شَيْئًا مِنْ مَتَاعِي. وَقَدْ اشْتَرَى مَرْكَبِي بِشَمَانِينَ جُنيْهًا، وَاشْتَرَى الْفَتَى مِئَةَ بَسْتِينَ جُنيْهًا. وَلَمْ يَكُنْ يَبِيعُ الْفَتَى الْمُسْكِينَ بِمَحْضِ رَغْبَتِي^(١)، وَمَا كَانَ لِإِرْصَانِي أَنْ أَتْرُكَهُ رَقِيقًا^(٢)؛ وَلَكِنَّ الرُّبَّانَ وَعَدَنِي بِإِطْلَاقِ سَرَاجِهِ^(٣) بَعْدَ عَشْرِ سَنَوَاتٍ، فَقَبِلْتُ ذَلِكَ مُرْغَمًا.

وَكَانَتْ رِحْلَةُ سَعِيدَةٍ مُرِيحَةً مُوَفَّقَةً. وَقَدْ وَصَلْنَا إِلَى « الْبَرَاذِيلِ » بَعْدَ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ يَوْمًا.

١٠ - فِي « الْبَرَاذِيلِ »

وَقَدْ عَرَّفَنِي الرُّبَّانُ بِأَحَدِ أَعْيَانِ « الْبَرَاذِيلِ » - وَكَانَ يَمْلِكُ مَزْرَعَةً لِلْقَصَبِ وَمَصْنَعًا لِلشُّكْرِ - وَأَوْصَاهُ بِخَيْرًا؛ فَشَكَرْتُ لِلرُّبَّانِ عِنَايَتَهُ بِي وَفَضْلَهُ عَلَيَّ.

وَقَفَّعْتَنِي صُحْبَةً هَذَا الزَّارِعِ الْكَرِيمِ؛ فَقَدْ عَلَّمَنِي كَيْفَ أَزْرَعُ

(١) خالص إرادتي. (٢) عبدًا. (٣) تركه حراً.

الْقَصَبَ ، وَكَيْفَ أَصْنَعُ مِنْهُ الشُّكْرَ . وَمَا مَرَّتْ عَلَيَّ أَرْبَعَةُ أَغْوَامٍ
 حَتَّى نَجَّحْتُ أَعْمَالِي كُلُّهَا ، وَأَصْبَحْتُ فِي رَعْدٍ مِنَ الْعَيْشِ .
 وَكُنْتُ كُلَّمَا ذَكَرْتُ وَطَنِي تَأَلَّمْتُ لِفِرَاقِهِ ، وَاشْتَدَّ حَنِينِي إِلَيْهِ ،
 وَنَدِمِي عَلَى تَرْكِهِ .

• • •

وَتَرَفَّتْ - فِي أَثْنَاءِ إِقَامَتِي - بِكَثِيرٍ مِنَ الزَّارِعِينَ فِي تِلْكَ
 الْبِلَادِ . فَكُنَّا نَسْمُرُ^(١) فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ ، وَكُنْتُ أَذْكُرُ لَهُمْ مَا وَقَعَ لِي
 فِي أَثْنَاءِ رِحْلَتِي إِلَى « غَانَةَ » ؛ وَكَيْفَ ظَفِرْتُ بِأَمْوَالٍ طَائِلَةٍ مِنَ
 الْإِتِّجَارِ بِأَشْيَاءَ نَافِيَةٍ كَالْمَقَصَّاتِ وَالْمُدَى^(٢) وَالْمَرَايَا وَمَا إِلَى ذَلِكَ .
 فَاشْتَدَّتْ رَغْبَتُهُمْ فِي السَّفَرِ إِلَى « غَانَةَ » ، وَأَعَدُّوا سَفِينَةً كَبِيرَةً ، وَطَلَبُوا
 إِلَيَّ أَنْ أُرَاقِقَهُمْ فِي هَذِهِ الرَّحْلَةِ ؛ فَعَاوَدَنِي الْحَنِينُ إِلَى الْبَحْرِ ، وَعَهْدْتُ
 إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِي أَنْ يُعْنَى بِمَزْرَعَتِي وَمَصْنَعِي فِي أَثْنَاءِ غِيَابِي .

ثُمَّ أَبْحَرْتُ بِنَا السَّفِينَةَ فِي أَوَّلِ سِبْتِمَبْرِ ١٦٥٩ م ، وَهُوَ نَظِيرُ الْيَوْمِ
 الَّذِي غَادَرْتُ فِيهِ وَطَنِي وَاسْتَقْبَلْتُ بِهِ عَهْدَ الشَّقَاءِ ، مُنْذُ ثَمَانِيَةِ أَغْوَامٍ .

(١) نَتَحَدَّثُ بِاللَّيْلِ . (٢) السَّكَاكِينُ .

الفصل الثالث

فِي جَزِيرَةِ نَائِيَةِ

١ - هُبُوبُ الْعَاصِفَةِ

كَانَتْ السَّفِينَةُ الَّتِي أُعِدَّتْ لَهَا^(١) لِهَذِهِ الرِّحْلَةِ سَفِينَةً كَبِيرَةً ، قَادِرَةً

عَلَى حَمْلِ مِائَةِ وَعِشْرِينَ

طُنًّا . وَقَدْ زَوَّدَتْهَا

بِسِتَّةِ مَدَافِعَ ، وَأَخْتَرْنَا

لَهَا أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ

مَلَّاحًا .

وَقَدْ وَضَعْنَا فِيهَا

الْبَضَائِعَ الَّتِي شَرَيْنَاهَا

لِنَتَّجِرَ بِهَا فِي بِلَادِ

« إَفْرِيقِيَّة » ؛ وَهِيَ



مَوْلًى مِنْ مِقْصَّاتٍ وَفُتُوسٍ وَمَطَارِقٍ وَمَرَايَا صَغِيرَةٍ وَأَزْرَقٍ لِلْمَلَابِسِ
وَمَا إِلَى ذَلِكَ .

ثُمَّ أَبْحَرَتْ بِنَا السَّفِينَةُ مُيَمَّةً^(١) شَاطِئُ « إِفْرِيقِيَّة » .
وَقَدْ هَبَّتْ عَلَيْنَا - فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ عَشَرَ - عَاصِفَةٌ هَوَاجٌ لَبِثَتْ
أَنْتَى عَشَرَ يَوْمًا ، لَا تَهْدَأُ إِلَّا رِيثًا تَشْتَدُّ وَتَعْنَفُ ، وَلَا تَمُرُّ بِنَا لَحْظَةً
إِلَّا أَنْذَرْتَنَا بِالْفَرَقِ .

وَهَكَذَا ظَلَلْنَا تَتَرَقَّبُ الْهَلَاكَ بَيْنَ حَيْنٍ وَحَيْنٍ ، بَعْدَ أَنْ ضَلَلْنَا
طَرِيقَنَا فِي الْبَحْرِ ، خِلَالَ هَذِهِ الْأَيَّامِ الَّتِي هَبَّتْ فِيهَا الْعَاصِفَةُ .

٢ - زَوْرَقُ النِّجَاحِ

ثُمَّ رَأَيْنَا - عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ - أَرْضًا تَبْدُو لَنَا مِنْ بَعِيدٍ ؛
فَلَا حَ لَنَا أَمَلٌ كَبِيرٌ فِي النِّجَاحِ . وَلَكِنَّا لَمْ نَلْبَثْ أَنْ فَقَدْنَا ذَلِكَ
الْأَمَلَ ، وَحَلَّ مَحَلَّهُ الْيَأْسُ وَالْقُنُوطُ . فَقَدْ قَذَفَتِ الْعَاصِفَةُ بِسَفِينَتِنَا
إِلَى كَثِيبٍ^(٢) مِنَ الرَّمْلِ . وَكَانَتِ الصَّدْمَةُ قُوَّةً عَنِيفَةً ؛

(٢) تَل .

(١) قَاصِدَةٌ .



فَتَعَطَّلَتِ السَّفِينَةُ ،
وَعَمَرَتْهَا الْأَمْوَاجُ
الْهَائِجَةُ ؛ فَلَمْ نَجِدْ
مِنَ الْهَلَاكِ بُدًّا ،
وَعَرَفْنَا أَنَّ آخِرَتَنَا
قَدْ دَنَتْ .

عَلَى أَنَّنَا لَمْ

نَسْتَسْلِمَ لِلْيَأْسِ ؛ فَاسْرَعْنَا إِلَى زَوْرَقِ النِّجَاجِ ، فَأَنْزَلْنَاهُ فِي الْبَحْرِ ،
وَبَدَّلْنَا كُلَّ مَا فِي وُسْعِنَا لِلْخَلَاصِ . وَظَلَلْنَا نَجْدُفُ بِكُلِّ قُوَانَا ، حَتَّى
أَصْبَحْنَا عَلَى مَسَافَةِ مِيلٍ وَنِصْفِ مِيلٍ مِنَ الشَّاطِئِ ، حَيْثُ دَهَمْتُنَا ^(١)
مَوْجَةٌ طَافِغِيَّةٌ ؛ فَخِيلَ إِلَيْنَا أَنَّ جَبَلًا مِنَ الْمَاءِ قَدْ انْقَضَ ^(٢) عَلَيْنَا ،
فَانْقَلَبَ الزَّوْرَقُ فِي الْحَالِ .

وَلَمْ أَرْ بِجَانِبِي أَحَدًا مِنْ رِفَاقِي ، وَلَمْ أَعْلَمْ بَعْدَ ذَلِكَ مَصِيرَهُمْ ^(٣) .

(١) غمرتنا . (٢) سقط . (٣) نهايتهم .

٣ - النِّجَاةُ مِنَ الْغَرَقِ

أَمَّا أَنَا فَقَدْ لَعِبْتُ فِي الْأَمْوَاجِ ، ثُمَّ قَذَفْتُ بِي إِلَى صَخْرَةٍ كَبِيرَةٍ ،
وَكَانَتْ الصَّدْمَةُ عَنِيفَةً ، فَأُغْمِيَ عَلَى ، ثُمَّ أَقْقْتُ بَعْدَ قَلِيلٍ . وَكَانَ
مِنْ حُسْنِ حَظِّي أَنِّي أَقْقْتُ قَبْلَ أَنْ يَسْتَأْنِفَ الْبَحْرُ ثَوْرَتَهُ .
وَمَا رَأَيْتُ الْمَوْجَةَ قَادِمَةً عَلَيَّ - لَتَبْتَلِيَنِي فِي طَيْهَا - حَتَّى أُمْسِكْتُ
بِالصَّخْرَةِ مُتَشَبِّهًا بِكُلِّ قُوَّتِي ، حَتَّى تَنْحَدِرَ^(١) الْيَمَاءُ عَنِّي .
ثُمَّ هَدَأَتْ ثَائِرَةُ الْبَحْرِ قَلِيلًا ؛ فَحَاوَلْتُ إِمْكَانِي ، وَبَذَلْتُ
جُهْدِي ، حَتَّى بَلَغْتُ الشَّاطِئَ ، وَأَنَا لَا أَكَادُ أَصَدِّقُ بِالنِّجَاةِ
مِنَ الْغَرَقِ .

٤ - بَعْدَ النِّجَاةِ

وَشَعَرْتُ بِفَرَحٍ شَدِيدٍ حِينَ رَأَيْتُنِي قَدْ نَجَوْتُ مِنَ الْهَلَاكِ .
وَأَجَلْتُ لِحَاطِي^(٢) فِي أَنْحَاءِ الْبَحْرِ ، أُنَلِّمُ رُؤْيَا أَحَدٍ مِنْ رِفَاقِي ؛

(١) تَنْحَدِرُ . (٢) أَدْرَتْ عَنِّي .

فَلَمْ أَرَ إِلَّا مُبْعَاتٍ
ثَلَاثًا، وَقَلَنْسُوءَةً^(١)،
وَنَمْلًا، طَافِيَةً عَلَى
سَطْحِ الْمَاءِ. فَأَيَّقَنْتُ
أَنْ رِفَاقِي جَمِيعًا
قَدْ هَلَكُوا، وَلَمْ
تُكْتَبْ لَهُمُ النِّجَاحُ.



وَقَدْ تَأَلَّمْتُ لِمَوْتِ

هَؤُلَاءِ الْأَصْحَابِ، كَمَا تَأَلَّمْتُ لِنَفْسِي أَيْضًا؛ فَقَدْ
كُنْتُ - حِينئِذٍ - فِي حَالٍ يُرْتَى لَهَا^(٢)، فِثْيَابِي
مُبْتَلاَةٌ، وَلَيْسَ مَعِيَ ثِيَابٌ أُسْتَبَدِلُهَا بِهَا.

وَشَعَرْتُ بِالْهَمِّ الْجُوعِ، وَلَيْسَ عِنْدِي مَا أُتَبَلَّغُ بِهِ^(٣). وَالْحَقُّ^(٤)
عَلَى الضَّعْفِ، وَتَخَاذَلَتْ أَعْضَائِي، وَلَمْ أَجِدْ سَبِيلًا لِاسْتِزْدَادِ قُوَايَ
بَعْدَ أَنْ أَضْنَاهَا التَّمَبُّ وَالْكَفَاحُ.

(١) غطاء رأس (٢) تدعو إلى الشفقة (٣) ما أَسْتَسْقِ به الحياة من الطعام (٤) اشتد.

ه - يَبْنَ أَغْصَانِ شَجَرَةٍ

وَحَشِيتُ أَنْ يَذْهَبَنِي ^(١) اللَّيْلُ ؛ فَأَصْبَحَ فَرِيسَةً لِلْوُحُوشِ ، وَلَيْسَ
مَعِيَ سِلَاحٌ أَصْطَادُ بِهِ - مِنْ الْحَيَّوانِ - مَا أَقَاتُ بِهِ ، أَوْ أَدْفَعُ بِهِ
عَنِّي غَالِثَةَ الْوُحُوشِ الْمَادِيَةِ ^(٢) إِذَا حَاوَلَتْ أَفْتِرَاسِي . فَلَمْ يَكُنْ لَدَيَّ
- حِينَئِذٍ - غَيْرُ مُدَيَّةٍ ^(٣) لَا غِنَاءَ فِيهَا ^(٤) . فَتَمَثَّلَ لِي حَرْجٌ مَرَكِزِي ،
وَرَأَيْتُ الْمُسْتَقْبَلَ مَرْهُوبًا ^(٥) مُظْلَمًا . وَصِرْتُ أَعْدُو ^(٦) فِي كُلِّ مَكَانٍ ،
وَقَدْ أَذْهَلَنِي الْفَزَعُ ، وَأَنْسَانِي الْخَوْفُ كُلَّ شَيْءٍ .

مَحْمٌ أَقْبَلَ اللَّيْلُ ؛ فَأَشْتَدَّ رُغْبِي ، وَلَمْ أَجِدْ لِي مَنَاصًا ^(٧) مِنْ
التَّفْكِيرِ فِي مَكَانِ نَوْمِي . فَتَخَيَّرْتُ شَجَرَةً كَبِيرَةً بِالقُرْبِ مِنِّي ،
وَجَلَسْتُ يَبْنَ أَغْصَانِهَا الْمُشْتَبِكَةِ . وَكُنْتُ قَدْ وَصَلْتُ إِلَى أَقْصَى
دَرَجَاتِ الْإِغْيَاوِ وَالتَّعَبِ ؛ فَغَلَبَنِي النَّوْمُ طُولَ لَيْلِي ، وَلَمْ أَسْتَيْقِظْ

(١) يَفْاجِئُنِي . (٢) شَرِ الْحَيَوَانَاتِ الْمُفْتَرِسَةِ . (٣) سَكِينَةٌ . (٤) لَا فَالَةَ مِنْهَا .
(٥) غُرُوبًا . (٦) أَجْرِي . (٧) نَجَاةً .



إِلَّا فِي ضُحَى الْغَدِ ؛ فَرَأَيْتُ الشَّمْسَ مُشْرِقَةً ، وَالْجَوَّ صَخَوًا ، وَالْبَحْرَ
هَادِنًا جَمِيلًا .

٦ - السَّفِينَةُ

وَأَجَلْتُ لِحَاظِي^(١) فِي أَرْجَاءِ الْبَحْرِ ؛ فَاشْتَدَّتْ دَهْشَتِي حِينَ رَأَيْتُ
السَّفِينَةَ جَائِمَةً^(٢) عَلَى بُعْدٍ مِيلٍ مِنَ الْجَزِيرَةِ . وَكَانَ الْمَدُّ^(٣) قَدْ أَخْرَجَهَا
مِنَ الْكَيْبِ^(٤) ، وَقَذَفَ بِهَا قَرِيبًا مِنَ الصُّخْرِ الَّتِي قَذَفْتَنِي

(١) درت ببصرى . (٢) بالية . (٣) امتداد الماء . (٤) التل من الرمل .

إِلَيْهَا الْأَمْوَاجُ أَمْسٍ . فَمَنْ^(١) لِي رَأْيٌ سَدِيدٌ^(٢) ، ذَلِكَ : هُوَ أَنْ أُسْرِعَ
إِلَيْهَا ، فَأَخُذَ مِنْهَا أَمَّ مَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ الْمُتَفَرِّقَةِ ، قَبْلَ
أَنْ تَطْنَى الْأَمْوَاجُ عَلَى السَّفِينَةِ ، وَيَطْوِيَهَا الْبَحْرُ فِي قَرَارِهِ . وَشَجَّعَنِي
عَلَى ذَلِكَ هُدُوهُ الْبَحْرِ وَانْخِفَاضُ الْمَدِّ .

وَكَانَتْ الْحَرَارَةُ شَدِيدَةً وَقْتَ الظُّهَيْرَةِ ؛ فَخَلَمْتُ ثِيَابِي ، وَسَبَحْتُ
فِي الْمَاءِ حَتَّى بَلَغْتُ السَّفِينَةَ . وَدُرْتُ حَوْلَهَا ؛ فَلَمْ أَجِدْ وَسِيلَةً
لِلصُّمُودِ إِلَيْهَا لِارْتِفَاعِهَا . وَقَدْ كَذْتُ أَيَّاسُ مِنْ إِدْرَاكِ هَذِهِ الْعَالِيَةِ ،
لَوْلَا أَنَّنِي ظَفَرْتُ بِحَبْلِ مُتَدَلٍّ ؛ فَتَعَلَّقْتُ بِهِ حَتَّى صَعِدْتُ إِلَى ظَهْرِ
السَّفِينَةِ بَعْدَ عَنَاءٍ شَدِيدٍ . وَرَأَيْتُ الْمَاءَ قَدْ نَفَذَ إِلَى أَرْضِ السَّفِينَةِ ؛
وَلَكِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ سَطْحَهَا ، وَلَمْ يُتْلَفْ كُلُّ مَا تُحْوِيهِ مِنْ مَتُونَةٍ
وَذَخَائِرٍ . وَكَانَ أَوَّلَ مَا يَشْغُلُنِي - حِينَئِذٍ - هُوَ الْبَحْثُ عَنِ
الطَّعَامِ وَالْمَاءِ . فَأَسْكَتُ مِنَ الزَّادِ حَتَّى شَبِعْتُ ، وَشَرِبْتُ مِنَ الْمَاءِ
حَتَّى أُرْتَوَيْتُ .

٧ - المَرْكَبُ الصَّغِيرُ

وَلَمْ أَضِعْ وَقْتِي عَبَثًا . فَأَسْرَعْتُ إِلَى جَمْعِ الْأَلْوَاحِ الْمُتَنَازِرَةِ ،
وَالْأَعْمِدَةِ الْمُحَطَّمَةِ ،
وَالْأَشْرَعَةِ الْمُمَزَّقَةِ ،
وَأَلَفْتُ مِنْهَا مَرْكَبًا
صَغِيرًا . ثُمَّ كَسَرْتُ
ثَلَاثَةَ صَنَادِيقَ
وَأَفْرَعْتُ مَا فِيهَا .
ثُمَّ أَنْزَلْتُهَا بِالْحِبَالِ
إِلَى ذَلِكَ الْمَرْكَبِ
الصَّغِيرِ ، وَمَلَأْتُهَا

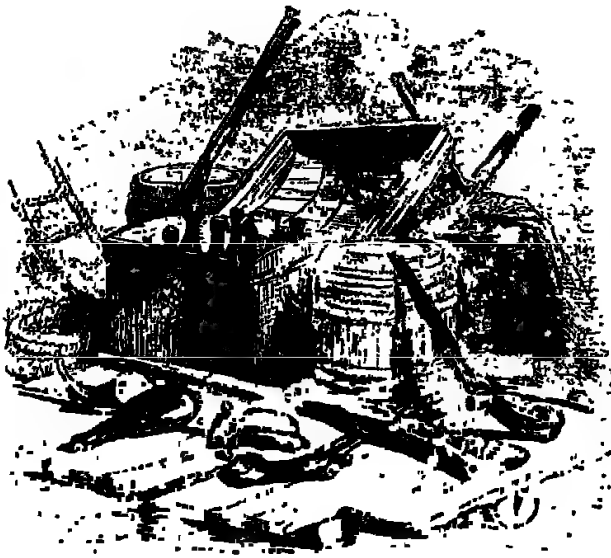


بِالْخُبْزِ وَالرُّزِّ وَالْجُبْنِ وَالْقَدِيدِ^(١) وَرَأَيْتُ فِي الْمَخْزَنِ
كَمِيَّةً قَلِيلَةً مِنَ الْقَمْحِ وَالشَّعِيرِ وَالْبُرْغُلِ ، كُنَّا قَدْ
أَخْضَرْنَاهَا لِتَغْذِيَةِ طُيُورِنَا وَدَوَاجِنَا ؛ فَوَضَعْتُهَا فِي أَحَدِ الصَّنَادِيقِ .

(١) اللحم اليابس المحفوظ .

وَأَنِّي لَمُنْهَمِكُ فِي عَمَلِي ، إِذْ لَاحَتْ مِنِّي التِّفَافَةُ ؛ فَرَأَيْتُ أَلَمَدَّ
يَرْتَقِعُ إِلَى الشَّاطِئِ وَيَجْذِبُ ثِيَابِي الْغَرِيقَةَ . وَقَدْ تَأَلَّمْتُ حِينَ رَأَيْتُهَا
طَاقِيَةً عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ .

عَلَى أَنَّنِي رَأَيْتُ فِي السَّفِينَةِ — مِنَ الثِّيَابِ — مَا عَوَّضَنِي عَنْهَا .
فَأَخَذْتُ مِنْهَا مَا اسْتَطَعْتُ ،
وَحَمَلْتُ مَعِيَ — مِنْ
الْآلَاتِ وَالْعُدَدِ — مَا لَا غِنَى
لِيَ عَنْهُ . وَقَدْ ظَفِرْتُ
بِصُنْدُوقِ نَجَّارٍ ؛ فَكَانَ
عِنْدِي أَثْمَنَ مِنْ كُنُوزِ
الْأَرْضِ قَاطِبَةً^(١) ، فَأَلْقَيْتُ
بِهِ فِي الْمَرْكَبِ الصَّغِيرِ .



وَوَضَعْتُ — فِي أَثْنَاءِ بَحْثِي — بِمُسَدَّسَيْنِ وَبُنْدُقَتَيْنِ وَسَيْفَيْنِ قَدِيمَيْنِ يَمْلُوهَا

(١) جِيَا .



الصِّدَأُ، وَكِيسٍ مِنَ الرِّصَاصِ،
وَعِدَّةٍ أَكْيَاسٍ مِنَ الْبَارُودِ .
وَكَانَ بِالسَّفِينَةِ بَرَامِيلُ
ثَلَاثَةٌ مَمْلُوءَةٌ بَارُودًا، فَبَحَثْتُ
عَنْهَا حَتَّى اهْتَدَيْتُ إِلَيْهَا ؛
فَرَأَيْتُ الْمَاءَ قَدْ أَتْلَفَ بِرَمِيْلَا
مِنْهَا . فَحَمَلْتُ الْبَرَمِيلَيْنِ
الْبَاقِيَيْنِ إِلَى الْمَرْكَبِ ، وَلَمْ
يَبْقَ عَلَيَّ إِلَّا أَنْ أَذْهَبَ
بِمَرْكَبِي إِلَى الشَّاطِئِ . وَظَفِرْتُ
— بَعْدَ بَحْثٍ طَوِيلٍ —

بِثَلَاثَةِ مَجَادِيْفٍ مُحَطَّمَةٍ ، وَمِنْشَارَيْنِ وَمِطْرَقَةٍ ؛ فَاسْتَوَدَعْتُهَا سَفِينَتِي ^(١) .
وَحَمَلْنِي الْمَدُّ إِلَى الشَّاطِئِ ، حَيْثُ أَتَّهَى بِي إِلَى مَكَانٍ لَا يَبْعُدُ
كَثِيرًا عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي حَلَلْتُ فِيهِ أَمْسٍ .

(١) حفظتها فيها .

الوطن الجديد

١ - عَلَى قِمَّةِ جَبَلٍ

كَانَ أَوَّلَ مَا عُنِيتُ بِهِ أَنْ أَرْتَادَ^(١) هَذِهِ الْأَرْضَ الْمَجْهُولَةَ الَّتِي
قَذَفْتَنِي إِلَيْهَا الْمَقَادِيرُ ، لَعَلِّي أَهْتَدِي إِلَى مَسْكَنِ آوِي إِلَيْهِ .
وَكُنْتُ - حِينَئِذٍ - أَجْهَلُ كُلِّ شَيْءٍ فِي تِلْكَ الْأَرْضِ . فَلَمْ أَكُنْ
أَعْرِفُ : هَلْ قَذَفْتَنِي الْأَمْوَاجُ إِلَى جَزِيرَةٍ أَمْ قَارَةٍ ؟ إِلَى أَرْضٍ مَأْهُولَةٍ ،
أَمْ مُوحِشَةٍ ؟ إِلَى مَكَانٍ أَمِينٍ مُطْمَئِنٍّ ، أَمْ مَخُوفٍ مَرْهُوبٍ ؟ إِلَى أَرْضٍ
يَقْطُنُهَا الْمُتَحَضِّرُونَ ، أَمْ الْهَمَجُ ، أَمْ الْوُحُوشُ الْمُفْتَرِسَةُ ؟
وَأَجَلْتُ لِحَاضِي فِي أَنْحَائِهَا ؛ فَرَأَيْتُ جَبَلًا شَاهِقًا يَلُوحُ لِي عَلَى
مَسَافَةٍ مِيلٍ تَقْرِيْبًا . فَأَخَذْتُ بُنْدُقِيَّةً وَمُسَدَّسًا ، وَسِرْتُ حَتَّى بَلَغْتُهُ .
فَرَأَيْتُهُ وَعَرَ الْمُرْتَقَى^(٢) ، وَلَمْ أَبْلُغْ قِمَّتَهُ إِلَّا بَعْدَ عَنَاءٍ شَدِيدٍ .

(١) أتعرف . (٢) صعب المصعد .

وَقَدْ تَمَلَّكَنِي الْحُزْنُ وَالْأَلَمُ ، إِذْ عَرَفْتُ أَنَّ الْمَكَانَ الَّذِي حَلَلْتُهُ لَيْسَ إِلَّا جَزِيرَةً . وَكُنْتُ — كَيْفَمَا أَدْرْتُ لِحَاظِي — لَا أَجِدُ إِلَّا الْبَحْرَ يَكْتَنِفُ هَذِهِ الْجَزِيرَةَ ^(١) ، وَشَبَحَ جَزِيرَتَيْنِ صَغِيرَتَيْنِ تَلُوحَانِ لِي عَلَى بُعْدِ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ غَرْبًا .

وَرَأَيْتُ أَنَّ الْجَزِيرَةَ الَّتِي حَلَلْتُهَا حَازِبَةً ^(٢) ، قَرَأَهُ غَيْرُ مَأْهُولَةٍ ^(٣) ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِيهَا وَحُوشٌ مُقْتَرِسَةٌ . أَمَّا الْإِنْسُ فَلَا سَبِيلَ إِلَى وَجُودِهِمْ فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ الْمُجْدِبَةِ الْقَاحِلَةِ ^(٤) .

٢ — الطَّلَقَةُ الْأُولَى

عَلَى أَنَّي رَأَيْتُ جَمْعَةً ^(٥) مِنَ الطُّيُورِ الْقَرِيبَةِ — وَأَنَا عَائِدٌ إِلَى حَيْثُ جِئْتُ — فَصَوَّبْتُ بُنْدُقِيَّ إِلَى طَائِرٍ مِنْهَا كَانَ عَلَى شَجَرَةٍ مِنْ أَشْجَارِ الْغَابَةِ الْقَرِيبَةِ مِنِّي .

وَلَعَلَّ هَذِهِ هِيَ أَوَّلُ مَرَّةٍ تُطْلَقُ فِيهَا بُنْدُقِيَّةٌ فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ ! وَقَدْ ذُعِرَتِ الطُّيُورُ حِينَ سَمِعَتْ هَذِهِ الطَّلَقَةَ الْمَفْزَعَةَ ، وَاشْتَدَّ

(١) يحيط بها . (٢) بعيدة . (٣) لا يسكنها أحد .

(٤) التي لا نبات فيها . (٥) جماعة .

ارْتَبَاكُهَا ، وَعَلَتْ صَيْحَاتُهَا . وَرَأَيْتُ هَذَا الطَّائِرَ يُشَبِّهُ الْبَاشِقَ ، وَإِنْ
كَانَ قَلِيلَ اللَّحْمِ ، لَا يُسَعِّنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ .

٣ - كُوخٌ مِنْ صَنَادِيقَ

ثُمَّ عُدْتُ أَذْرَاجِي^(١) ، وَظَلَلْتُ أَفْرِغُ مَا أَخْضَرْتُهُ مِنَ السَّفِينَةِ
وَأَرْتَبُهُ ، حَتَّى انْقَضَى النَّهَارُ ، وَأَقْبَلَ اللَّيْلُ ؛ فَلَمْ أَذِرْ كَيْفَ أَنَا
مُطْمَئِنًّا ، آمِنًا مِنْ غَارَةِ الْوُحُوشِ الْمُفْتَرِسَةِ ؛ ثُمَّ اهْتَدَيْتُ - بَعْدَ
افْتِكَارٍ طَوِيلٍ - إِلَى طَرِيقَةٍ نَاجِحَةٍ ؛ فَأَذْنَيْتُ^(٢) الصَّنَادِيقَ الَّتِي
أَخْضَرْتُهَا مِنَ السَّفِينَةِ ، ثُمَّ اتَّخَذْتُ مِنْهَا كُوخًا آوَى إِلَيْهِ فِي تِلْكَ
اللَّيْلَةِ . وَرَأَيْتُنِي فِي حَاجَةٍ إِلَى حِجَالِ السَّفِينَةِ وَأَشْرَعْتَهَا ؛ فَتَوَيْتُ الدَّهَابَ
إِلَيْهَا فِي الْيَوْمِ التَّالِي وَقَدْ انْخِضَ الْمَدُّ ، قَبْلَ أَنْ تُفْرِقَهَا أَوَّلُ عَاصِفَةٍ
تَهْبُ عَلَيْهَا مِنَ الْبَحْرِ .

٤ - عَوْدَةٌ إِلَى السَّفِينَةِ

وَلَمَّا جَاءَ الْغَدُ خَلَمْتُ مَلَابِسِي إِلَّا قَيْصًا مُمَزَّقًا وَسِرْوَالًا وَنَعْلًا خَفِيفَةً ،

(١) رجعت من حيث أتيت . (٢) قربت .

وَذَهَبْتُ إِلَى السَّفِينَةِ ، وَأَخْضَرْتُ مِنْهَا كَثِيرًا مِنْ الدُّخَانِ ^(١) الَّتِي
 كُنْتُ فِي أَشَدِّ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا . وَقَدْ ظَفِرْتُ بِفِرَارَتَيْنِ ^(٢) مَمْلُوءَتَيْنِ
 مَسَامِيرَ ، كَمَا ظَفِرْتُ بِمِدَّةِ النَّجَارَةِ ، وَفِيهَا مِسْنٌ ، وَاثْنَتَا عَشْرَةَ
 قُدُومًا ، وَغَيْرُ ذَلِكَ . وَجَمَعْتُ كُلَّ مَا وَجَدْتُهُ - مِنْ الشَّابِ وَأَشْرَعِهِ
 السَّفِينَةِ وَالْأَغْطِيَةِ - وَعُدْتُ إِلَى كُوخِي الصَّغِيرِ . وَقَدْ شَجَعَنِي هَذَا النَّجَاحُ ،
 وَأَكْسَبَنِي قُوَّةً وَنَشَاطًا عَظِيمَيْنِ . وَكُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَلْتَهُمَ بَعْضُ الْوُحُوشِ
 مَا تَرَكَتُهُ مِنَ الزَّادِ ^(٣) ، وَلَكِنِّي أَطْمَأْنَنْتُ - بِمَدِّ عَوْدَتِي - وَزَالَتْ
 مَخَافِي ؛ إِذْ لَمْ أَعْثُرْ لِهَذِهِ الْوُحُوشِ عَلَى أَثَرٍ . فَكَيْ أَنَّنِي رَأَيْتُ حَيَوَانًا
 - أَشْبَهَ شَيْءًا بِالْقِطِّ - جَالِسًا عَلَى أَحَدِ الصَّنَادِقِ . وَمَا رَأَيْتُ حَتَّى فَرَّ
 مِنِّي ، ثُمَّ وَقَفَ عَلَى بُعْدِ خُطُواتٍ قَلِيلَةٍ ، وَظَلَّ يُنْعِمُ ^(٤) نَظَرَهُ فِيَّ مِنْ
 غَيْرِ أَنْ يَبْدُوَ عَلَى مَلَامِحِهِ الْخَوْفُ . فَصَوَّبْتُ إِلَيْهِ بُنْدُقِي ، فَلَمْ
 يَتَحَرَّكْ ، وَلَمْ يُحَاوِلِ الْفِرَارَ . فَأَلْقَيْتُ إِلَيْهِ قِطْمَةً مِنَ الْخُشْكَانِ ^(٥) ،
 فَاقْتَرَبَ مِنْهَا وَشَمَّهَا وَتَذَوَّقَهَا ، ثُمَّ ابْتَلَمَهَا مِنْ فُورِهِ ، وَبَدَأَ عَلَى مَلَامِحِهِ
 السُّرُورَ . فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يَطْلُبُ غَيْرَهَا ، فَلَمْ أُعْطِهِ شَيْئًا ، لِأَنِّي زَادِي قَلِيلٌ ،

(١) الأشياء الثمينة المحفوظة . (٢) زكيتين . (٣) الطعام الذي يتخذ السفر .

(٤) يدفق . (٥) السكوبيت .

وَلَيْسَ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ أُسْرِفَ^(١) فِي الْأَخْذِ مِنْهُ .
وَلَمَّا يَتَسَّ الْقِطُّ مِنْ عَطَائِي ، ذَهَبَ إِلَى سَبِيلِهِ .

٥ - إِعْدَادُ الْمَسْكَنِ

وَفَكَّرْتُ فِي إِعْدَادِ مَسْكَنِ يُؤْمِنُنِي مِنَ الْوُحُوشِ ، وَيَحْفَظُ أَمْتِي
مِنَ التَّلَفِ ، وَيَقِيهَا غَائِلَةَ الْأَمْطَارِ وَحَرَارَةَ الشَّمْسِ . فَبَنَيْتُ خِيْمَةً
مِنَ الشَّرَاجِ الَّذِي أَخْضَرْتُهُ ، وَكَبَّشْتُهَا بِالْأَوْتَادِ^(٢) ، وَوَضَعْتُ فِي تِلْكَ
الْخِيْمَةِ كُلَّ مَا أَخْضَرْتُهُ مِنَ السَّفِينَةِ . ثُمَّ سَوَّيْتُ الْخِيْمَةَ^(٣)
بِالصَّنَادِيقِ وَالْبَرَامِيلِ ، وَسَدَدْتُ بَابَهَا مِنَ الدَّخْلِ بِالْأَوَاجِ مِنَ الْخَشَبِ ،
وَوَضَعْتُ خَلْفَهَا صُنْدُوقًا فَارِغًا . ثُمَّ وَضَعْتُ مُسَدَّسَيْنِ تَحْتَ وَسَادَتِي ،
وَنَيْتُ أَهْدَأَ مَا أَكُونُ بِأَلَا حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ .

٦ - ذَخَائِرُ السَّفِينَةِ

وَلَقَدْ شَعَرْتُ أَنَّي حَصَلْتُ عَلَى مَا يَكْفِينِي ، بَلْ مَا يَزِيدُ عَلَى حَاجَتِي .

(١) اكتر . (٢) قطع من الخشب ونحوه مثبتة في الأرض . (٣) جعلت لما سورا .

ولكن بقاء السفينة أطمعني في الحصول على كل ذخائرها ، ما دمت قادراً على الذهاب إليها ، فلم يهدأ لي بال ، ولم يقر لي قرار . وعقدت العزم على التزوّد^(١) منها كبل يوم . وقد ذهبت إليها - بعد ذلك - ستة أيام متعاقبة^(٢) ، وخيل إلى أنني قد أفرغت كل ما فيها من زاد وذاخير . ولكنني ذهبت في اليوم السابع ؛ إذ وجدت برميلاً كبيراً مملوئاً خشكناً^(٣) . فأفرغته ، بعد أن وضعت في قطع من الأشرعة ، ثم عدت إلى خيمتي مسروراً راضياً .

٧ - الزوارة الأخيرة

وذهبت في اليوم التالي إلى السفينة - كما درتي - ولكنني شعرت بهبوب الرياح ، فلم أبال ، ولم أنش^(٤) عن عزيمتي . وقد ظفرت في هذه الرحلة بثلاث مواش^(٥) ، وكانت في غرفة الرّبان ، كما ظفرت ببقصتين صغيرين وعدة ملاعق ، وما إلى ذلك من الأدوات النافعة . ثم لاحت مني التفاتة ، فرأيت ستة وثلاثين جنهما من الذهب والفضة .

(١) الأخذ . (٢) متوالية . (٣) بكويّة . (٤) لم أريج .

(٥) جمع موسى ، وهي الآلة التي يطلق بها .

فَابْتَسَمْتُ - حَيْثُئِذٍ - سَاخِرًا ؛ فَلَمْ تَكُنْ لِي بِهَذِهِ النُّقُودِ حَاجَةً فِي
تِلْكَ الْجَزِيرَةِ النَّائِيَةِ . وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِإِلْقَائِهَا فِي الْبَحْرِ ، ثُمَّ رَجَعْتُ
عَنْ ذَلِكَ ، وَوَضَعْتُهَا فِي صُرَّةٍ مِنَ الْخَيْشِ . وَرَأَيْتُ السَّمَاءَ تَتَلَبَّدُ
بِالْغُيُومِ ؛ فَأَسْرَعْتُ بِالْعَوْدَةِ إِلَى كُوخِي . وَقَدْ لَقِيتُ عَنْاءَ شَدِيدًا فِي
مُغَالَبَةِ الْأَمْوَاجِ ، وَلَكِنِّي وَصَلْتُ إِلَى الشَّاطِئِ سَالِمًا بِحَمْدِ اللَّهِ .

٨ - غَرَقُ السَّفِينَةِ

وَمَا عُدْتُ إِلَى خِيَمَتِي حَتَّى عُنِفَتِ الرِّيحُ ، وَأَشْتَدَّ اضْطِحَابُ
الْأَمْوَاجِ ، وَظَلَّ الْبَحْرُ مُضْطَرِبًا هَائِجًا طُولَ اللَّيْلِ .
وَلَمَّا أَقْبَلَ الصَّبَاحُ دُرْتُ بِالْحَاضِي فِي عُرْضِ الْبَحْرِ ؛ فَلَمْ أَجِدْ
لِلْسَفِينَةِ أَثَرًا . فَعَلِمْتُ أَنَّ الْعَاصِفَةَ أَغْرَقَتْهَا ؛ فَلَمْ أَحْزَنْ عَلَيْهَا ، لِأَنِّي
لَمْ أُدْخِرْ وَسْعًا فِي ثَقَلِ كُلِّ مَا أُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْهَا فِي الْأَيَّامِ السَّابِقَةِ .

٩ - أَلَيْتُ الْجَدِيدُ

لَمْ يَبْقَ عَلَيَّ - بَعْدَ ذَلِكَ - إِلَّا أَنْ أَفَكِّرَ فِي وَسِيلَةِ تَصُدُّعِي

غَائِلَةَ الْمُعْتَدِينَ ، مِنْ بَنِي الْإِنْسَانِ ، أَوْ مِنَ الْوُحُوشِ الْمُفْتَرِسَةِ . وَظَلَلْتُ
أَفْكَرُ فِي بِنَاءِ الْبَيْتِ الَّذِي أُشِيدُهُ ، وَلَمْ أَذَرِ : هَلْ أَحْفَرُ كَهْفًا أَمْ أَقِيمُ
خَيْمَةً ؟ ثُمَّ قَرَّرْتُ رَأْيِي عَلَى أَنْ أَجْمَعَ بَيْنَهُمَا . وَرَأَيْتُ الْمَكَانَ الَّذِي حَلَلْتُهُ
لَا يَصْلُحُ لِإِقَامَتِي إِقَامَةً دَائِمَةً ؛ لِأَنَّهُ فِي أَرْضٍ مُنْخَفِضَةٍ سَبِيحَةً ^(١) وَبَقَائِي
فِيهِ مُضِرٌّ بِصِحَّتِي ، وَهُوَ — إِلَى ذَلِكَ — لَيْسَ قَرِيبًا مِنَ الْمَاءِ الْعَذْبِ .
فَبَحَثْتُ عَنْ مَكَانٍ آخَرَ أَكْثَرُ مَلَأَمَةً لِي . وَهَدَانِي الْبَحْثُ إِلَى الْمَكَانِ
الَّذِي أَرَدْتُ ؛ فَقَدْ وَفَّقْتُ إِلَى سَهْلٍ صَغِيرٍ فِي سَفْحِ تَلٍّ مُرْتَفِعٍ صَخْرِي ،
وَبِجَانِبِهِ مَاءٌ عَذْبٌ ، وَهُوَ مُشْرِفٌ عَلَى الْبَحْرِ . وَكَانَ فِي أَعْلَى ذَلِكَ التَّلِّ
صَخْرَةٌ نَاتِيئةٌ ^(٢) تَقِينِي وَهَجَ الشَّمْسِ ، وَتَحْمِينِي مِنْ أَعْتِدَاءِ الْمُغِيرِينَ ، مِنْ
إِنْسٍ وَحَيَوَانٍ . وَكَانَتْ تِلْكَ الصَّخْرَةُ مَحْفُورَةً تُشَبِّهُ الْكَهْفَ ؛ فَبَنَيْتُ
خَيْمَتِي أَمَامَهَا ، وَبَنَيْتُ أَوْتَادَهَا ؛ وَشَعَرْتُ أَنَّي أَصْبَحْتُ بِأَمْنٍ مِنْ كُلِّ أَعْتِدَاءٍ .
وَلَمْ أَجْعَلْ لِبَيْتِي بَابًا أَدْخُلُهُ ؛ بَلْ سُلَّمًا أَتَسَلَّقُهُ . فَإِذَا دَخَلْتُ الْبَيْتَ رَفَعْتُ
السُّلَّمُ إِلَى دَاخِلِهِ ، وَنِمْتُ — طُولَ لَيْلِي — نَاعِمَ النَّالِ ، مُطْمَئِنًّا ، قَرِيرَ الْعَيْنِ .
ثُمَّ تَقَلْتُ فِي هَذَا الْحِمْنِ كُلَّ مَا لَدَيَّ مِنْ مَتَاعٍ وَزَادٍ وَذَخَائِرَ . وَرَفَعْتُ

(١) ذات نر وبلح . (٢) مرتفعة .

— فِي أَعْلَى الْمَسْكَنِ — سَقَفًا مُؤَلَّفًا مِنْ شِرَاعَيْنِ : أَحَدُهُمَا فَوْقَ الْآخَرِ ،
وَمَلَّيْتُهُمَا بِالتَّقَارِ (١) ، ثُمَّ وَجَّهْتُ هِمَّتِي إِلَى حَفْرِ مَكَانٍ فِي تِلْكَ الصَّخْرَةِ
لِيَكُونَ مَنْزَرًا

صَغِيرًا فِي مَنْزِلِي .

وَوَضَعْتُ جَادًا فِي عَمَلِي .

وَإِنِّي لَكَذَلِكَ إِذْ

بَرَقَ الْبَرْقُ وَرَعَدَ

الرَّعْدُ : فَاسْتَدَّ

جَزْعِي ، وَخَشِيتُ

أَنْ يَشْتَمَلَ الْبَارُودُ ،

فَيَدْمِرَ كُلَّ شَيْءٍ فِي

لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ .



وَتَمَّ (٢) وَجَّهْتُ هِمَّتِي كُلَّهَا إِلَى تَأْمِينِي (٣) مِنْ هَذَا الْخَطَرِ ؛ فَصَنَعْتُ
أَكْبَاسًا كَثِيرَةً ، وَوَضَعْتُ فِيهَا الْبَارُودَ ، وَفَرَّقْتُهَا فِي أَنْحَاءٍ مُتَبَاعِدَةٍ ؛

(١) الزفت . (٢) هناك . (٣) حفظي .

حَتَّى إِذَا اشْتَمَلَتِ النَّارُ فِي أَحَدِهَا لَمْ تَتَّصِلْ بِغَيْرِهِ .
 وَهَذِهِ الطَّرِيقَةُ أَمِنْتُ أَنْ يَشْتَمَلَ كُلُّ مَا عِنْدِي مِنَ الْبَارُودِ مَرَّةً
 وَاحِدَةً . وَقَدْ أَنْجَزْتُ هَذَا الْعَمَلَ فِي خِلَالِ خَمْسَةِ عَشَرَ يَوْمًا مُتَوَالِيَةً ،
 وَوَضَعْتُ الْبَارُودَ فِي مِائَةِ غِرَارَةٍ ^(١) أَخْفَيْتُهَا فِي ثُقُوبِ الصَّخْرِ ، لِأَمْنٍ
 عَلَيْهَا الرُّطُوبَةَ . وَكَانَتْ ذَخِيرَتِي مِنَ الْبَارُودِ لَا يَقِلُّ وَزْنُهَا عَنْ مِائَةِ
 وَأَرْبَعِينَ رِطْلًا . وَقَدْ اشْتَدَّ حَرَصِي عَلَيْهَا ، وَلَمْ يَزَلْ يَزِيدُ بَالِي إِلَّا بَعْدَ أَنْ
 وَثِقْتُ مِنْ سَلَامَتِهَا ، وَذَهَبَ خَوْفِي عَلَيْهَا مِنَ التَّلَفِ .

(١) زَكِيَّة .

الفصل الخامس

الزَّلْزَالُ

١ - جِداءُ الْجَزِيرَةِ

لَمْ أَكْفَ عَنْ الْعَمَلِ فِي كُلِّ يَوْمٍ إِلَّا فِي فتراتٍ قَلِيلَةٍ ، كُنْتُ
أَخْرُجُ - فِي أُمْنَائِهَا -
مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ فِي
كُلِّ يَوْمٍ ، لِأَرْوِّحَ
عَنْ نَفْسِي مِنْ عَنَاءِ
الْعَمَلِ ، أَوْ لِأَصْطَادَ
بَعْضَ الْحَيَوَانِ لِعِذَائِي ،
أَوْ لِأَرْتَادَ أَنْحَاءِ
الْجَزِيرَةِ الْمَجْهُولَةِ .



وَقَدْ اسْتَرْعَى بَصَرِي

— فِي أَوَّلِ يَوْمٍ — مَا بِالْجَزِيرَةِ مِنْ جَدْيَانِ ، وَابْتَهَجْتُ حِينَ رَأَيْتُهَا .
وَلَكِنْ فَرَحِي لَمْ يَطُلْ ؛ لِأَنِّي رَأَيْتُهَا مُتَوَحِّشَةً مَا كِرَةً سَرِيعَةً
الْعَدُوِّ ، لَا أَكَادُ اقْتِرَبُ مِنْهَا حَتَّى تَفِرَّ هَارِبَةً . وَقَدْ حَاوَلْتُ أَنْ
أَصْطَادَ جَدْيًا مِنْ هَذِهِ الْجِدَاءِ ، فَلَمْ أَسْتَطِعْ ؛ لِسُرْعَتِهَا وَخَفَّتِهَا . وَلَكِنْ
الْيَأْسَ لَمْ يَغْلِبْنِي عَلَى أَمْرِي ، وَظَلَلْتُ أُرَاقِبُ حَرَكَاتِهَا فِي رَوْحَاتِهَا
وَجَيْثَاتِهَا ؛ فَرَأَيْتُهَا تَفْزَعُ مِنِّي هَارِبَةً ، إِذَا أَقْبَلْتُ عَلَيْهَا مِنَ الْوَادِي
وَكَانَتْ فَوْقَ الصُّخُورِ . فَإِذَا كُنْتُ أَنَا فَوْقَ الصُّخُورِ وَكَانَتْ هِيَ
فِي الْوَادِي تَرْغَى ، لَمْ تَتَحَرَّكَ ، وَلَمْ تَشْعُرْ بِمَقْدَمِي . فَعَلِمْتُ أَنَّ
بَصَرَهَا مُنْصَرِفٌ إِلَى أَسْفَلَ ، فَهِيَ لَا تَرْفَعُهُ إِلَى فَوْقٍ ؛ وَثُمَّ لَا تَرَى
مَا فَوْقَهَا . وَرَأَيْتُ أَنَّ خَيْرَ وَسِيلَةٍ تُمَكِّنُنِي مِنْ اقْتِنَاصِهَا^(١) بِسُهُولَةٍ ،
هِيَ أَنْ أَشْرِفَ عَلَيْهَا مِنْ فَوْقِ تِلْكَ الصُّخُورِ ، وَأَصُوبَ رَصَاصِي إِلَيْهَا .
وَقَدْ نَجَحْتُ هَذِهِ الْحِيلَةَ ، وَأَصَابْتُ أَوَّلُ طَلْقَةٍ مِنْ بُنْدُ قِيَّتِي مَاعِزًا فَقَتَلْتُهَا .
وَكَانَ مَعَهَا جَدْيٌ صَغِيرٌ ؛ فَحَمَلْتُهَا عَلَى كَتِفِي ، وَتَبِعَنِي صَغِيرُهَا حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى
مَسْكَنِي . وَبَذَلْتُ جُهْدِي فِي مُلَاطَفَةِ الْجَدْيِ لَعَلَّهُ يَسْتَأْنِسُ بِي ؛ فَلَمْ أَفْلِحْ .

وَقَدْ أَبَى أَنْ يَأْكُلَ مَا قَدَّمْتُهُ لَهُ مِنْ الطَّعَامِ ؛ فَاضْطُرَرْتُ إِلَى ذَبْحِهِ وَأَكْلِهِ .

٢ - مُذَكَّرَاتُ يَوْمِيَّةٍ

وَهَكَذَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَنْظِمَ حَيَاتِي - مُنْذُ وَطَّئْتُ ^(١) قَدَمَايَ تِلْكَ
الْجَزِيرَةَ النَّائِيَةَ الْفَقْرَ ^(٢) - لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي الْيَوْمِ
الْمُتَمِّمِ لِلثَّلَاثِينَ مِنْ « سِبْتَمْبَر » . وَكَانَ الْوَقْتُ
خَرِيفًا ، وَحَرَارَةُ الشَّمْسِ مُحْتَمَلَةً .

وَكَانَتِ الْجَزِيرَةُ الَّتِي
حَلَلْتُهَا وَاقِعَةً عَلَى الدَّرَجَةِ
التَّاسِعَةِ مِنْ شِمَالِ خُطِّ
الِاسْتِوَاءِ تَقْرِيبًا .

وَمَا مَرَّ عَلَى عَشْرَةِ
أَيَّامٍ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ
أَلْسَى تَوَارِيخَ الْأَيَّامِ .



وَلَمْ يَكُنْ عِنْدِي كُرَّاسَةٌ وَلَا وَرَقٌ وَلَا مِدَادٌ ، فَلَمْ أَعْرِفْ كَيْفَ أَدَوُّ
لِلْأَيَّامِ تَارِيخَهَا . وَبَعْدَ أَفْكَارٍ طَوِيلٍ أَقَمْتُ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ جِدْعًا
مُرَبَّعًا مِنَ الْخَشَبِ ، وَحَفَرْتُ فِيهِ مَا يَأْتِي :

« حَلَلْتُ هَذِهِ الْجَزِيرَةَ فِي ٣٠ مِنْ سِبْتَمْبَرِ سَنَةِ ١٦٥٨ م . »

ثُمَّ أَخَذْتُ عَلَى نَفْسِي أَنْ أَخْفِرَ خَطًّا صَغِيرًا فِي كُلِّ يَوْمٍ . فَإِذَا
انْتَهَى الْأُسْبُوعُ حَفَرْتُ خَطًّا مُزْدَوِجًا . فَإِذَا انْتَهَى الشَّهْرُ حَفَرْتُ مُرَبَّعًا
صَغِيرًا . وَقَدْ تَمَكَّنْتُ بِهِذِهِ الْوَسِيلَةِ مِنْ تَعْرِفِ أَيَّامِ الْأُسْبُوعِ وَالشَّهْرِ
وَالسَّنَةِ ، وَأَمِنْتُ الْخَطًّا وَالنُّسْيَانَ .

٣ - الْأَصْدِقَاءُ الْأَوْفِيَاءُ

فَاتَنِي أَنْ أَذْكَرُ لِلْقَارِي أَنْ السَّفِينَةَ - الَّتِي غَرِقَتْ - كَانَ بِهَا
قِطْلَانِ وَكَلْبٌ . وَقَدْ كَتَبَ عَلَيْهَا الْقَدَرُ أَنْ تَكُونَ فِصَّتَهَا مُتَرَجَّةً
بِقِصَّتِي . فَقَدْ أَخْضَرْتُ الْقِطْلَيْنِ مَعِيَ ، وَقَفَرَ الْكَلْبُ مِنَ السَّفِينَةِ إِلَى
الْبَحْرِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى الشَّاطِئِ سَبَاحَةً ، وَلَحِقَ بِي فِي الْيَوْمِ التَّالِي .
وَقَدْ ظَلَّ الْكَلْبُ الْوَفِيُّ الْأَمِينُ يَخْدُمُنِي عِدَّةَ سَنَوَاتٍ .

وكان دَقِيقَ المَلاحَظَةِ ، حادَّ الذِّكاءِ ، أَشْبَهَ بِالخادِمِ الذَّكِيِّ الحاذِقِ ^(١)
 وكانَ - في الحَقِيقَةِ - خَيْرَ صَدِيقٍ وخادِمٍ لِي . وَقَدْ أَعْجَبْتُ
 بِذَكَائِهِ وَفِطْنَتِهِ وَدِقَّةِ مُلاحَظَتِهِ ، فَقَدَّرْتُ رَأْيَهُ :
 فِي كُلِّ شَيْءٍ يُشْبِهُهُ إِلَّا فِي الكَلَامِ

٤ - أثباتُ البَيتِ

ذَكَرْتُ لِلقَارِي أَنَّنِي قَلْتُ ذَخائِرِي وَزادِي إِلَى يَدَيَّ الجَدِيدِ .
 وَقَدْ وَضَعْتُهَا - أَوَّلَ الأَمْرِ - عَلَى غَيْرِ تَرْتِيبٍ ؛ فَشَغَلَتْ مِنْ يَدَيَّ فَرَاغًا
 كَبِيرًا ، حَتَّى صَعُبَ عَلَيَّ أَنْ أَجِدَ فِيهِ مُتَسَمًّا لِلحَرَكَةِ . فَمَعَدْتُ إِلَى حَفْرِ
 المَغَارَةِ لِتَوْسِيعِهَا . وَقَدْ وَالَيْتُ العَمَلَ - فِي ذَلِكَ - أَيَّامًا حَتَّى وَفَّقْتُ
 إِلَى غَايَتِي . ثُمَّ عَنْ ^(٢) لِي أَنْ أَصْنَعَ أَهَمَّ مَا أحتاجُ إِلَيْهِ مِنْ أَثاثِ الدَّارِ ؛
 فَبَدَأْتُ بِصُنْعِ كُرْسِيِّ وَمَائِدَةٍ . وَقَدْ أَكْسَبَنِي العَمَلُ المُتَواصِلُ مَرَانَةً نادرَةً
 سَهَّلَتْ عَلَيَّ صُنْعَ كُلِّ مَا يُعَوِّزُنِي مِنَ الضَّرُورِيَّاتِ .
 وَقَدْ اسْتَطَعْتُ أَنْ أَصْنَعَ كَثِيرًا مِنَ الأَثاثِ ، دُونَ أَنْ أَسْتَعِينَ

(١) الماهر . (٢) خطر .

عَلَى ذَلِكَ بِغَيْرِ قَدُومٍ وَمِسْحَجٍ^(١) . فَإِذَا عَنَّ لِي أَنْ أَصْنَعَ لَوْحًا ، قَطَعْتُ
الشَّجَرَةَ بِالْقَدُومِ ، وَطَرَحْتُ جَذْعَهَا عَلَى الْأَرْضِ ، ثُمَّ هَذَّبْتُ مِنْ
جَانِبَيْهِ حَتَّى يَصِلَ سَمْكُهُ إِلَى الْحَدِّ الَّذِي أُرِيدُ . فَإِذَا تَمَّ لِي ذَلِكَ صَقَلْتُهُ^(٢)
بِمِسْحَجِي .

وَكَانَ الْقَدُومُ وَالْمِسْحَاجُ خَيْرَ مِعْوَانٍ^(٣) لِي عَلَى إِنْجَازِ كَثِيرٍ مِنْ أَمَانِ
الْأَيْتِ . وَلَمْ يَكُنْ فِي وَسْعِي أَنْ أَصْنَعَ أَكْثَرَ مِنْ لَوْحٍ وَاحِدٍ مِنْ كُلِّ
شَجَرَةٍ كَامِلَةٍ . عَلَى أَنَّي لَجَأْتُ إِلَى الصَّبْرِ ، وَلَمْ يَكُنْ لِي مَنُذُوحَةٌ^(٤)
عَنْهُ . وَقَدْ بَدَأْتُ بِعَمَلِ كُرْسِيِّ وَمَائِدَةٍ ، ثُمَّ صَنَنْتُ أَلْوَحًا كَثِيرَةً ،
ثُمَّ ثَبَّتُ فِي الصَّخْرِ مَسَامِيرَ لَوَلِيَّةٍ^(٥) ، لِأُعَلِّقَ عَلَيْهَا بَنَادِقِي وَثِيَابِي .
وَبَدَلْتُ جُهْدِي فِي إِنْجَازِ كُلِّ مَا أَسْتَخَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الضَّرُورِيَّاتِ .

٥ - شَحْمُ الْجِدَاءِ

وَكَانَ يُعَوِّزُنِي - وَمَا أَكْثَرَ مَا كَانَ يُعَوِّزُنِي حِينَئِذٍ - الشَّمْعُ .
وَكَانَ قِطْعَانُهُ يَضْطَرُّنِي إِلَى مُلَازِمَةِ فِرَاشِي كُلَّمَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ .

(٣) مساعد .

(٢) أُنْمِيتَ .

(١) آلة يصقل بها الخشب .

(٥) ملوأة .

(٤) بدو وسعة .

وَقَدْ فَكَّرْتُ فِي ذَلِكَ طَوِيلًا حَتَّى اهْتَدَيْتُ إِلَى حَلِّ هَذِهِ الْمَشْكَلَةِ ؛
فَحَرَصْتُ عَلَى شَحْمِ الْجِدَاءِ الَّتِي كُنْتُ أَذْبَحُهَا ، ثُمَّ جَفَنْتُهُ فِي أَشْمَةِ الشَّمْسِ .
وَوَضَعْتُ فِي وَسْطِ كُلِّ قِطْعَةٍ مِنَ الشَّحْمِ قَتِيلًا أَخْرَجْتُهُ مِنَ الْجِبَالِ الَّتِي
عِنْدِي ؛ حَتَّى إِذَا تَمَّ صُنْعُ الشَّمْعِ خَفِرْتُ بِالضَّوءِ كَيْلًا ، بَعْدَ أَنْ كُنْتُ
أَقْضِي لَيَالِي فِي غَلَامٍ حَالِكٍ .

٦ — سَنَابِلُ الشَّعِيرِ

وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ كُنْتُ دَائِبًا^(١) عَلَى الْعَمَلِ ؛ فَأَسْتَرْعَى أَنْتِبَاهِي كَيْسُ
الْجُبُوبِ الَّذِي أَخْضَرْتُهُ مَعِيَ مِنَ السَّفِينَةِ الْمُحَطَّمَةِ ، فَرَأَيْتُ الْقَارَةَ قَدْ
الْتَهَمَتْهُ حَتَّى لَمْ تَكَدْ تُبْقِ مِنْهُ إِلَّا الْقُشُورَ . فَأَفْرَغْتُ الْكَيْسَ مِنْهَا عِنْدَ
سَفْحِ الصَّخْرَةِ الْقَرِيبَةِ مِنْ كَهْفِي ، لِأَنْتَفِيعَ بِالْكَيْسِ فِي قَضَاءِ مَآرِبِ^(٢)
أُخَرَ . وَبَعْدَ قَلِيلٍ ، هَطَلَتِ الْأَمْطَارُ ، وَرَوَّتِ الْأَرْضُ ، ثُمَّ نَسِيتُ كُلَّ
مَا حَدَثَ بَعْدَ ذَلِكَ .

وَمَا رَأَيْتُ شَهْرًا وَاحِدًا تَقْرِيْبًا حَتَّى أَذْهَشَنِي مَا رَأَيْتُهُ — عِنْدَ سَفْحِ
الصَّخْرَةِ — مِنَ السُّوقِ النَّامِيَةِ فِي الْأَرْضِ .

(١) مجتهداً . (٢) إنجاز حاجات .



وَقَدْ كُنْتُ أَحْسَبُهَا - أَوَّلَ الْأَمْرِ - نَبَاتَاتِ
مَجْهُولَةٍ . ثُمَّ ظَهَرَ لِي خَطَأُ هَذَا الظَّنِّ - بَعْدَ
زَمَنِ قَلِيلٍ - حِينَ رَأَيْتُ أَثْنَتَيْ عَشْرَةَ
سُنْبُلَةً مِنَ الشَّعِيرِ الْأَخْضَرِ .

وَقَدْ أَشْتَدَّتْ دَهْشَتِي - حِينَئِذٍ -
وَلَمْ أَقْصُرْ فِي تَعْمُدِهَا بِالْعِنَايَةِ ،
وَحَصْدِهَا فِي مَوْسِمِ الْحَصَادِ ،
وَهُوَ آخِرُ شَهْرِ « يُنَيْسَةَ » .
وَقَدْ جَنَّبْتُهَا بِعِنَايَةٍ نَادِرَةٍ ؛

فَلَمْ أَهْمِلْ مِنْهَا حَبَّةً وَاحِدَةً ، ثُمَّ بَذَرْتُهَا - بَعْدَ ذَلِكَ - فِي مَوْسِمِ
الْبَذْرِ . وَلاحَ لِي أَمَلٌ كَبِيرٌ فِي الْحُصُولِ عَلَى الْخُبْزِ بَعْدَ زَمَنِ قَلِيلٍ .
وَمَا مَرَّتْ عَلَى أَرْبَعِ سَنَوَاتٍ حَتَّى أَصْبَحَ عِنْدِي - مِنَ الشَّعِيرِ -
مَا يَكْفِي لِعِذَائِي وَزَرْعِ حَقْلِي الْجَدِيدِ .

٧ - زَلْزَالُ الْجَزِيرَةِ

وَمَا أَنَسَ لَا أَنَسَ الْيَوْمَ السَّابِعَ مِنْ « أَبْرِيلَ » عَامَ سِتِّينَ
وَسِتِّمِائَةٍ وَأَلْفٍ : فَقَدْ كَانَ يَوْمًا هَائِلَ النَّبِيلِ ، مُرْوَعِ الْخَبَرِ ، وَقَدْ
أَيَقَنْتُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ آخِرَتِي دَنَتْ ، وَأَنَّ مَضْرَعِي وَشِيكَ^(١) .
وَرَأَيْتُ كُلَّ مَا أَتَمَّمْتُهُ - مِنْ عَمَلٍ - يَكَادُ يَنْهَارُ^(٢) أُمَامِي فِي
لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ .

كُنْتُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مُنْهَمِكًا^(٣) فِي أَعْمَالِي ، دَاخِلَ خَيْمَتِي . وَإِنِّي
لَكَذَلِكَ إِذْ وَجَدْتُ الْأَرْضَ تَهْبِطُ وَتَضَعُدُ . وَشَعَرْتُ بِاضْطِرَابِ
الصُّخُورِ الَّتِي تَكْتَفِنِي^(٤) ، وَسَمِعْتُ فَرْقَعَةً وَجَلْجَلَةً شَدِيدَتَيْنِ ،
وَلَمْ أَغْرِفْ مَعْدَرَ هَذِهِ الْكَوَارِثِ . وَتَمَلَّكَنِي الدُّعْرُ ، وَخَشِيتُ
أَنْ أُدْفَنَ حَيًّا ؛ فَصَعِدْتُ السُّلَمَ ، وَخَرَجْتُ مِنْ خَيْمَتِي مُسْرِعًا ، وَأَنَا
لَا أَكَادُ أَصَدِّقُ بِالنَّجَاةِ ؛ فَرَأَيْتُ أَرْضَ الْجَزِيرَةِ تَهْتَزُّ اهْتِزَازًا عَنِيفًا ،
فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الزَّلْزَالُ .

(١) هَلَكَى سَرَعَ إِلَى . (٢) يَسْفُطُ . (٣) جَادَأَ . (٤) يَحِيطُ بِى .

وَقَدْ اهْتَزَّتِ الْأَرْضُ تَحْتَ قَدَمَيَّ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مُتَعَابَةً^(١) ، وَكَانَ
بَيْنَ كُلِّ مَرَّةٍ مِثْلُ ثَمَانِي دَقَائِقَ .

وَكَانَتْ تِلْكَ الْهَزَّاتُ قُوَّةً عَنِيفَةً إِلَى حَدِّ أَنْ هَوَتْ إِخْدَى
الصُّخُورِ الْقَرِيبَةِ مِنِّي ، وَلَمْ أَكُنْ أَبْتَدُ عَنْهَا أَكْثَرَ مِنْ مِثْرٍ وَنِصْفِ
مِثْرٍ ، وَسَمِعْتُ لِسُقُوطِهَا صَوْتًا هُوَ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِالرَّعْدِ . وَثَمَّةَ^(٢) عَقْدَ
الْخَوْفِ لِسَانِي ، وَكَادَ يَجْمَدُ الدَّمُ فِي عُرُوقِي ، مِنْ شِدَّةِ الْفَزَعِ .

وَكَانَ مِنْ حُسْنِ حَظِّي أَنَّ الْأَرْضَ هَدَأَتْ ، وَسَكَنَ اضْطِرَابُهَا
بَعْدَ تِلْكَ الْهَزَّاتِ الثَّلَاثِ . فَاطْمَأَنْتُ نَفْسِي قَلِيلًا ، وَلَيْكِنِّي لَمْ
أَجْزُؤْ عَلَى دُخُولِ خِيَمَتِي ؛ فَجَلَسْتُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَأَنَا لَا أَعْرِفُ
كَيْفَ أَصْنَعُ .

٨ - بَعْدَ الزَّلْزَالِ

وَأَكْفَهَرَتِ السَّمَاءُ^(٣) ، وَتَلَبَّدَتْ فَجَاءَةً بِالنُّيُومِ الْقَاتِمَةِ . وَهَبَّتِ
الرَّيْحُ عَاصِفَةً هَوَّجَاءً ؛ وَاضْطَخَبَ الْبَحْرُ ، وَاضْطَفَقَتْ أَمْوَاجُهُ اضْطِفَاقًا

(٢) اسودت .

(٢) هناك

(١) متوالية .

شَدِيدًا ، وَكَانَتْ تَصِلُ فِي ارْتِفَاعِهَا إِلَى مِثْلِ ارْتِفَاعِ الْجِبَالِ . وَظَلَّتِ
 الْعَاصِفَةُ نَائِرَةً مُفَزَّعَةً ثَلَاثَ سَاعَاتٍ ، ثُمَّ أَعْقَبَهَا السُّكُونُ ، وَهَطَلَتْ
 الْأَمْطَارُ الْغَزِيرَةُ ؛ فَحَسِبْتُهَا سَيُولَا تَهْمِي مِنَ السُّحُبِ الْمُتَكَاثِفَةِ .
 وَظَلَّتِ السَّمَاءُ تُمَطِّرُنَا طَوْلَ اللَّيْلِ وَطَرَفًا مِنْ نَهَارِ الْيَوْمِ التَّالِي . وَكَانَ
 شُغْلِي الشَّاعِلُ - حِينَئِذٍ - التَّفَكِيرَ فِي تَغْيِيرِ هَذَا الْمَنْزِلِ ، بَعْدَ حُدُوثِ
 الزَّلْزَالِ . فَلَمْ يَكُنْ فِي وَسْعِي أَنْ أَطْمَئِنَّ إِلَى الْبَقَاءِ ، بَعْدَ أَنْ كِدْتُ
 أُدْفِنُ فِيهِ حَيًّا . وَقُلْتُ لِنَفْسِي : « مَا دَامَتِ الْجَزِيرَةُ عُرْضَةً لِأَخْطَارِ
 الزَّلْزَالِ ، فَلَيْسَ مِنَ الْحَزْمِ ^(١) أَنْ أَتَّخِذَ هَذِهِ الْمَغَارَةَ مَسْكِنًا لِي ،
 وَمَا أَجْدُرَنِي أَنْ أَتَخَيَّرَ مَكَانًا صَالِحًا فِي الْعَرَاءِ ^(٢) ، لِأَبْنِي فِيهِ مَسْكِنِي ،
 بَعْدَ أَنْ أُسَوِّرَهُ بِسِيَاحِ أَمِينٍ ^(٣) . »

وَقَدْ تَأَلَّمْتُ لِمُعَادَرَةِ هَذَا الْكَهْفِ الَّذِي لَمْ آلِ جُهْدًا ^(٤) فِي حَفْرِهِ
 وَإِصْلَاحِهِ وَتَنْظِيمِ أُمْتِعَتِي فِيهِ ، حَتَّى أَصْبَحَ يَتَنَا وَحِصْنًا مَنِيعًا ^(٥) يَقِينِي
 غَارَاتِ الْأَعْدَاءِ .

(١) الحكمة . (٢) الفناء . (٣) سور صدين . (٤) أي قوة إلا بدليلها
 (٥) قويا .

٩ - أثرُ الزَّلْزَالِ

وَفِي صَبَاحِ أَوَّلِ « مَائُو » وَقَفْتُ أَتَأَمَّلُ الْبَحْرَ، وَأَجِيلُ لِحَاظِي فِي أَرْجَائِهِ^(١). فَرَأَيْتُ بَقَايَا مُتَنَائِرَةً مِنْ حُطَامِ السَّفِينَةِ وَمِنْ أَلْوَاحِهَا، قَذَفَهَا أَلَمَدُ إِلَى الشَّاطِئِ. فَصَبَرْتُ عَلَيْهَا حَتَّى يَنْحَسِرَ^(٢) عَنْهَا الْمَاءُ، وَقَتَ الْجَزْرِ^(٣). وَقَدْ دَهَشْتُ أَوَّلَ الْأَمْرِ مِمَّا رَأَيْتُ. وَعَمِلْتُ أَنَّ هَذَا مِنْ أَثَرِ الزَّلْزَالِ الَّذِي حَطَمَ السَّفِينَةَ تَخْطِيمًا، ثُمَّ قَذَفَتْ الْأَمْوَاجُ بِالْوَاكِحِ إِلَى الشَّاطِئِ. وَرَأَيْتُنِي جَدِيرًا بِإِثْبَارِ هَذِهِ الْفُرْصَةِ قَبْلَ أَنْ أَشْغَلَ نَفْسِي بِنَاءِ الْمَسْكَنِ الْجَدِيدِ. وَعَمِلْتُ عَلَى تَجَزِئَةِ مَا بَقِيَ مِنَ السَّفِينَةِ إِلَى قِطْعٍ، وَأَنَا عَلَى ثِقَةٍ مِنْ حَاجَتِي إِلَى هَذِهِ الْبَقَايَا الْمُحْطَمَةِ. وَقَدْ وَاصَلْتُ أَلْعَمَلَ فِي تَحْقِيقِ هَذَا الْعَزْمِ حَتَّى مُنْتَصَفِ شَهْرِ « يُنْيَةِ »، وَظَفَرْتُ بِكَثِيرٍ مِنَ الْأَلْوَاكِحِ، كَمَا ظَفَرْتُ بِأَكْثَرِ مِنْ مِائَتَيْ رِطْلٍ مِنَ الْحَدِيدِ. وَهَكَذَا أَصْبَحَ فِي مَقْدُورِي أَنْ أُبْنِيَ لِي زَوْرَقًا كَامِلًا أَلْمِذَاتِ. وَصَنَعْتُ - بَعْدَ ذَلِكَ - شَبَكَةً أَصْطَادُ بِهَا السَّمَكَ. وَكُنْتُ أَجْفَفُ مَا يَزِيدُ عَلَى حَاجَتِي مِنْهُ فِي ضَوْءِ الشَّمْسِ وَحَرَارَتِهَا، ثُمَّ آكُلُهُ فِي أَوْقَاتٍ أُخْرَى.

(١) أدير بصرى في أنحائه . (٢) يرند . (٣) ارتداد الماء .

١٠ - يَنَ بَرَانِ الْحُمَى

وَفِي الْيَوْمِ السَّادِسَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ « يُنْيَةَ » رَأَيْتُ سُلْحَفَةً
كَبِيرَةً تَدِبُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَكَانَتْ هَذِهِ أَوَّلَ سُلْحَفَاتِ أَرَاهَا فِي الْجَزِيرَةِ .
عَلَى أَنَّي رَأَيْتُ - فِي الْأَيَّامِ التَّالِيَةِ - أُسْرَابًا^(١) كَثِيرَةً مِنْ
السَّلَاحِفِ فِي النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى مِنْهَا .

وَذَبَحْتُ تِلْكَ السَّلْحَفَةَ ؛ فَرَأَيْتُ فِيهَا سِتِينَ بَيْضَةً . وَكَانَ لَحْمُهَا
- حِينَئِذٍ - شَهِيًّا لَذِيذًا ؛ حَتَّى خُيِّلَ إِلَيَّ أَنَّهُ أَشْهَى طَعَامٍ تَذَوَّقْتُهُ
فِي حَيَاتِي .

وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ « يُنْيَةَ » هَطَلَتِ الْأَمْطَارُ
غَزِيرَةً ، وَبَرَدَ الْجَوُّ فَجْأَةً ، فَأَصَابَتْنِي الْحُمَى عَشْرَةَ أَيَّامٍ كَامِلَةٍ . وَكَانَتْ
حَرَارَتِي تَخْتَلِفُ بَيْنَ ارْتِفَاعٍ وَأَنْخِفَاضٍ ، وَقَدْ أَشْتَدَّ بِي الظَّمْأُ ،
وَأَعْجَزَنِي الضَّعْفُ عَنِ السَّيْرِ إِلَى مَكَانِ الْمَاءِ لِأُرْوِيَ ظَمْئِي .

وَمَا تَمَائَلْتُ^(٢) ، حَتَّى أُنْصَرَفَ هَمِّي إِلَى مَلَأِ زُجَاجَةٍ كَبِيرَةٍ مَاءً ،
وَوَضَعْتُهَا عَلَى الْمَائِدَةِ الْقَرِيبَةِ مِنْ سِرِيرِي .

(١) جماعات . (٢) دبت من الشفاء .

ولقد نهكت الحمى قواي^(١) ؛ فَبَقِيتُ عَشْرَةَ أَيَّامٍ أُخْرَى وَأَنَا
 مَاجِرٌ عَنْ أَداءِ أَىِّ عَمَلٍ . فَقَضَيْتُ دَوْرَ النَّفْثِ^(٢) فِي رَاحَةٍ تَامَةٍ ،
 تَخَلَّاهَا نَزَاهَاتٌ قَصِيرَةٌ ، حَتَّى اسْتَرَدَدْتُ صِحَّتِي كَامِلَةً فِي الْيَوْمِ
 الْخَامِسِ عَشَرَ مِنْ « مُبْلِيَةِ » .

١١ - إِرْتِيَادُ الْجَزِيرَةِ

ورَأَيْتُنِي جَدِيرًا أَنْ أُرْتَادَ الْجَزِيرَةَ ، وَأَتَعَرَّفَ كُلَّ مَا فِيهَا .
 فَذَهَبْتُ إِلَى الْخَلِيجِ الصَّغِيرِ - وَهُوَ أَوَّلُ مَكَانٍ حَلَّتُهُ فِي هَذِهِ
 الْجَزِيرَةِ - وَسِرْتُ عَلَى شَاطِئِ الْغَدِيرِ الَّذِي يَصُبُّ فِيهِ ، وَقَطَعْتُ
 نَحْوَ مِيلَيْنِ فِي أَرْضٍ مُرْتَفَعَةٍ . وَقَدْ أُعْجِبْتُ بِالْمُرُوجِ الْخَضِرِ الْجَمِيلَةِ
 الْمُنْبَسِطَةِ الَّتِي يَخْتَرِقُهَا الْغَدِيرُ . وَرَأَيْتُ فِي الْمُرُوجِ الْمُرْتَفَعَةِ كَثِيرًا
 مِنَ التَّبَعِ الْآخِضِرِ نَامِيًا عَلَى سُوقِ مُرْتَفَعَةٍ ، كَمَا رَأَيْتُ عِيدَانِ قَصَبِ
 الشُّكْرِ عَلَى غَيْرِ مَا يُرَامُ ، فَقَدْ أَهْمِلْتُ وَلَمْ يَتَعَمَّدْهَا أَحَدٌ بِعِنَايَتِهِ .
 وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِي - أَيْ فِي السَّادِسِ عَشَرَ مِنْ ذَلِكَ الشَّهْرِ -

(١) أضعفتها . (٢) مدة استكمال الصحة .

سِرْتُ فِي الطَّرِيقِ الَّتِي قَطَعْتُهَا بِالْأَمْسِ ، وَتَوَغَّلْتُ^(١) فِي الْمَرْوَجِ . فَرَأَيْتُ
وَرَاءَهَا كَثِيرًا مِنْ أَشْجَارِ الْفَاكِهَةِ وَغَيْرِهَا ، وَرَأَيْتُ — مِنْ السَّمَاءِ
وَالْعِنَبِ النَّاصِجَ الشَّعِيَّ — مَا أَذْهَشَنِي وَأَفْهَمَ قَلْبِي سُرُورًا . فَأَكَلْتُ
مِنْ الْفَاكِهَةِ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ حَتَّى لَا تُسَلِّمَنِي الثُّغْمَةُ إِلَى الْمَرَضِ .
ثُمَّ عَنْ لِي أَنْ أَجْفَفَ الْعِنَبَ حَتَّى يُصْبِحَ زَيْبًا . وَمَضَى النَّهَارُ كُلُّهُ
وَأَنَا جَادٌّ فِي هَذَا الْعَمَلِ . وَلَمْ أَشَأْ أَنْ أَعُودَ إِلَى مَسْكَنِي قَبْلَ أَنْ
يُقْبَلَ اللَّيْلُ لِبُعْدِ الشُّقَّةِ^(٢) فَتَخَيَّرْتُ لِنَوْمِي شَجَرَةً كَثِيفَةً الْأَغْصَانِ ،
وَنِمْتُ بَيْنَ أَغْصَانِهَا ، كَمَا نِمْتُ أَوَّلَ لَيْلَةٍ حَلَلْتُ فِيهَا هَذِهِ الْجَزِيرَةَ .
وَمَا زِلْتُ نَائِمًا قَرِيرَ الْمَيِّنِ^(٣) هَادِي الْبَالِ حَتَّى أَقْبَلَ الصُّبْحُ . فَاسْتَيْقَظْتُ ،
ثُمَّ وَاصَلْتُ السَّيْرَ نَحْوَ أَرْبَعَةِ أَمْيَالٍ ، حَتَّى بَلَغْتُ غَابَةَ مُزْدَهَرَةٍ ،
تَلُوحُ لِعَيْنٍ مَنْ يَرَاهَا مِنْ بَعِيدٍ كَأَنَّهَا حَدِيقَةٌ .

وَقَدْ اسْتَرْعَى بَصَرِي مَا رَأَيْتُهُ مِنْ شَجَرِ الْبُرْتُقَالِ وَاللَّيْمُونِ وَمَا إِلَى
ذَلِكَ مِنَ الْفَاكِهَةِ النَّاصِجَةِ الشَّهِيَّةِ .

وَرَأَيْتُ مِنْ أَصَالَةِ الرَّأْيِ^(٤) أَنْ أُعِدَّ مِنْ هَذِهِ الْخَيْرَاتِ الْعَمِيمَةِ

(١) قَطَعْتُ مَسَافَةً بَعِيدَةً . (٢) بَعْدَ الْمَسَافَةِ . (٣) مَسْرُورًا . (٤) جُودَةً

زَادَا اخْتَزَنَهُ لِفَصْلِ الشَّاءِ الْقَرِيبِ . فَجَنَّتْ كَثِيرًا مِنَ الْعِنَبِ ،
وَعَلَّقَتْهُ عَلَى عُصُونِ الشَّجَرِ ، لِيَجِفَّ فِي الشَّمْسِ . وَأَخَذَتْ مِنَ الْبُرْتَقَالِ
بِمِقْدَارِ مَا اسْتَطَاعَ حَمَلُهُ . وَسِرْتُ فِي طَرِيقِي عَائِدًا إِلَى مَسْكَنِي ،
وَأَنَا شَدِيدُ الْإِعْجَابِ بِجَمَالِ هَذَا الْوَادِي الْخَصِيبِ ، وَأَعْتَدَالِ جَوْهِ ،
وَحُسْنِ مَوْقِعِهِ الْأَمِينِ . وَعَرَفْتُ أَنَّ الْمَكَانَ - الَّذِي تَخَيَّرْتُهُ
لِسُكْنَايَ - هُوَ أَرْدَأُ بُقْعَةٍ فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ . وَلَكِنِّي لَمْ أَشَأْ أَنْ
أَبْرَحَ الْمَكَانَ ، لِقُرْبِهِ مِنَ الْبَحْرِ . وَقَدْ كُنْتُ أَتَوَقَّعُ أَنْ تَمُرَّ بِي
سَفِينَةٌ ، أَوْ يَهْدَى عَلَيَّ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ فَيُنْقِذَنِي مِنْ تِلْكَ الْمَرَلَةِ .

عَلَى أَنِّي - لِشِدَّةِ إِعْجَابِي بِهَذِهِ الْبُقْعَةِ الْجَيِّلَةِ - لَمْ أَشَأْ أَنْ
أَبْتَعِدَ عَنْهَا . فَأَنْشَأْتُ فِيهَا عِشًا آوَى إِلَيْهِ وَسَطَ فَنَاءٍ^(١) مُحَاطٍ بِسِيَاجٍ^(٢)
طَبِيعِي مُزْدَوِجٍ مِنَ الْأَشْجَارِ . وَكُنْتُ أَمْضِي فِي هَذَا الْحِصْنِ لَيْلَتَيْنِ
أَوْ ثَلَاثًا مُتَوَالِيَةً . وَقَدْ صَنَعْتُ سُلَّمًا شَبِيهَا بِالسُّلَمِ الَّذِي صَنَعْتُهُ فِي
الْمَنْزِلِ الْأَوَّلِ . وَهَكَذَا أَصْبَحَ لِي مَتَزِلَانِ مُتَبَاعِدَانِ ، آوَى إِلَيْهِمَا فِي
أَيِّ وَقْتٍ أَشَاءُ . وَظَلَمْتُ كَذَلِكَ إِلَى أَوَّلِ شَهْرِ « أَغُسْطُسَ » .

(١) مكان فضاء واسع . (٢) سور (٧) سور .



١٢ - فصلُ الأمطارِ

وَفِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ عَشَرَ مِنْ «أَغُسْطُسَ» بَدَأَ الْمَطَرُ يَنْهَمِرُ
بِشِدَّةٍ إِلَى أَنْ حَلَّ مُتَنَصِّفُ «أَكْتُوبَرِ»، فَبَدَأَتْ تَخِفُ وَطَاءَةُ الْمَطَرِ .

وَكُنْتُ — لِحُسْنِ حَظِّي — قَدْ تَقَلْتُ إِلَى مَسْكَنِي الْأَوَّلِ كُلَّ
 مَا جَفَّفْتُهُ مِنَ الْعَيْبِ قُبَيْلَ حُلُولِ فَصْلِ الْأَمْطَارِ . فَلَمَّا اشْتَدَّ انْهِمَارُ
 الْمَطَرِ وَتَمَدَّرَ عَلَى الْخُرُوجِ ، وَجَدْتُ مَا يَكْفِينِي مِنَ الزَّادِ . وَكَانَ
 الْمَطَرُ يَضْطَرُّنِي فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ ، إِلَى الْإِنْزِوَاءِ فِي مَغَارَتِي عِدَّةَ أَيَّامٍ .
 وَبَعْدَ قَلِيلٍ شَعَرْتُ أَنَّ زَادِي يُوشِكُ أَنْ يَنْتَهِيَ ؛ فَاضْطَرَرْتُ إِلَى
 الْخُرُوجِ مِنْ بَيْتِي مَرَّتَيْنِ . وَقَدْ اصْطَدْتُ جَدِيًّا وَسُلْخَفَاءَ كَبِيرَةً ،
 وَكَانَ لِحَمْمَهُمَا شَهِيًّا .

وَكَانَ فَطَوْرِي عُثْقُودًا مِنَ الْعَيْبِ ، وَغَدَائِي شِوَاءَةً مِنْ جَدْيٍ أَوْ
 سُلْخَفَاءٍ ، وَعَشَائِي يَيْضَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا

وَلَمَّا جَاءَ الْيَوْمُ الْمُتَمِّمُ لِلثَّلَاثِينَ مِنْ « سِبْتَمْبَر » ، اثْنَا بَتْنِي ذِكْرِيَاتٍ
 مُؤَلِّمَةً . وَقَدْ سَاوَرْتَنِي ^(١) حِينَ مَرَّ بِخَاطِرِي أَنَّي حَلَلْتُ هَدِي
 الْجَزِيرَةِ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ مِنَ الْعَامِ الْمَاضِي ، وَقَدْ مَرَّ عَلَيَّ عَامٌ
 بِأَكْمَلِهِ فِي هَذَا الْمَنَى . وَلَقَدْ كُنْتُ شَدِيدَ الْيَقَظَةِ فِي مُرَاقَبَةِ الْفُصُولِ
 وَحُسْبَانِ أَيَّامِ السَّنَةِ ؛ حَتَّى لَا أَفْجَأًا بِالْأَمْطَارِ . وَقَدْ أَكْسَبَتْنِي الْمِرَانَةُ
 خِبْرَةً نَادِرَةً بِالزَّرْعَةِ ، وَنَجَّحَتْ أَعْمَالِي نَجَاحًا بَاهِرًا .

(١) خطرت لي .

١٣ - البَيْغَاءُ وَالْجَدَى

وَكُنْتُ دَائِبًا عَلَى الْعَمَلِ فِي كُلِّ يَوْمٍ . وَلَمْ أَقْصُرْ فِي تَوْفِيرِ الزَّادِ^(١)
عِنْدِي قَبْلَ حُلُولِ الْأَمْطَارِ ؛ حَتَّى لَا يُزْعِجَنِي نَقْصُ الزَّادِ إِذَا حَبَسَنِي
الْمَطَرُ عَنِ الْخُرُوجِ مِنَ الْبَيْتِ .

وَرَأَيْتُنِي فِي حَاجَةٍ إِلَى سِلَالٍ أَضْعُ فِيهَا أَلْفَاكِمَةً وَالطَّعَامَ . وَقَدْ
وَقَّعْتُ إِلَى صُنْعِهَا بَعْدَ عَنَاءٍ طَوِيلٍ . وَكُنْتُ أَكْثَرُ مِنَ التَّجَوُّلِ فِي
تِلْكَ الْجَزِيرَةِ . وَقَدْ اسْتَرْعَى بَصَرِي - ذَاتَ يَوْمٍ - أَرْضٌ فَرِيحَةٌ ،
وَكَانَ الْيَوْمُ صَحْوًا . وَقَدْ رَأَيْتُهَا مَرَّةً تَفَعَّةً ، تَمْتَدُّ مِنَ الْغَرْبِ إِلَى الْجَنُوبِ
الْغَرْبِيِّ . وَهِيَ تَبْتَدُّ عَنْ جَزِيرَتِي نَحْوَ خَمْسَةِ عَشَرَ مِيلًا ، وَلَمْ أَكُنْ
أَعْرِفُ شَيْئًا عَنْهَا . وَقَدْ هَدَانِي التَّفَكِيرُ الطَّوِيلُ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْأَرْضَ
الْبَعِيدَةَ تَمْتَدُّ إِلَى بِلَادِ الْبَرَزِيلِ . وَشَهِدْتُ - فِي أَثْنَاءِ تَجَوُّلِي فِي تِلْكَ
السُّهُولِ الْخَضِرِ الْمَزْدَهَرَةِ الْجَمِيلَةِ ، ذَاتِ الْأَشْجَارِ الْبَاسِقَةِ^(٢)
الْكثِيفَةِ^(٣) - جَمْعَةً مِنَ الْبَيْغَاوَاتِ .

وَقَدْ وَقَّعْتُ إِلَى اقْتِنَاصِ بَيْغَاءٍ صَغِيرَةٍ ، ضَرَبْتُهَا بِمَصَايَ ، ثُمَّ

(١) حصه . (٢) المرتفعة . (٣) الغليظة .

أَذْفَأْتُهَا بَيْنَ ثِيَابِي، حَتَّى عَادَتْ إِلَى صَوَابِهَا . وَعُدْتُ بِهَا إِلَى مَسْكَنِي ،
فَرَأَيْتُ كُلِّي قَدْ أَصْطَادَ جَذِيًا صَغِيرًا ؛ فَاسْرَعْتُ لِإِتْقَازِ الْجَذِي مِنَ
بَيْنِ مَخَالِبِهِ .

وَقَدْ عُنِيتُ بِتَرْيِيقَةِ اللَّبِغَاءِ
وَالْجَذِي وَتَأْنِيسِهِمَا^(١) . فَرَبَطْتُ
الْجَذِيَّ إِلَى وَتْدٍ ، وَصَنَعْتُ لِلْبِغَاءِ
قَفَصًا . وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْهِمَا زَمَنٌ
قَلِيلٌ ، حَتَّى أَنَسَا بِي وَأُرْتَاخَا
إِلَى صُحْبَتِي . وَكَانَ الْجَذِيُّ
يَتَّبَعُنِي حَيْثُمَا سِرْتُ ، وَلَا يَكَادُ
يُطِيقُ فِرَاقِي .



وَهَكَذَا سَعِدْتُ - فِي

هَذِهِ الْجَزِيرَةِ النَّائِيَةِ - بِصُحْبَةِ هَذَيْنِ الرَّفِيقَيْنِ الْجَدِيدَيْنِ ، كَمَا سَعِدْتُ
بِصُحْبَةِ كُلِّي وَقَطَعْتِي مِنْ قَبْلُ .

(١) جعلهما يألفان بـ ولا يهربان مني .

زَمَنُ الْعُزْلَةِ

١ - أَعْدَاءُ الزَّرَاعَةِ

حَلَّ الْيَوْمُ الْمُتَمِّمُ لِلثَّلَاثِينَ مِنْ « سِبْتَمْبَر » ، وَهُوَ الذِّكْرَى الثَّانِيَّةُ لِلْيَوْمِ الْمَشْنُومِ الَّذِي حَلَّتْ فِيهِ هَذِهِ الْجَزِيرَةُ الْمُوحِشَةُ النَّائِيَّةُ ، حَيْثُ كُتِبَ عَلَى أَنْ أَتْرَكَ الْعَالَمَ وَأُسْتَسْلِمَ لِلْعُزْلَةِ . عَلَى أَنَّنِي وَجَدْتُ فِي الْعَمَلِ رَاحَةً عَظِيمَةً ، وَظَفِرْتُ - بِجِدِّي وَدُعْوِي وَمُثَابَرَتِي ^(١) - بِنَتَائِجٍ بَاهِرَةٍ . فَجَنَيْتُ فِي آخِرِ الْخَرِيفِ مَخْصُولًا وَافِرًا مِنَ الْحُبُوبِ . وَلَكِنْ فَرَحِي بِهِ لَمْ يَدُمَ طَوِيلًا ؛ فَقَدْ نَمَصَهُ عَلَى عِبَثِ الْجِدَاءِ بِهِ . وَكُنْتُ أَرَى بَعْضَ حَيَوَانِ الْجَزِيرَةِ - وَهُوَ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِالْأَرْنَبِ الْجَبَلِيِّ يَمِيشُ بِزَرْعِي فَسَادًا . وَقَدْ أُسْتَمْرَأَ ^(٢) الْقَمْحَ - وَهُوَ عَلَى سَوْقِهِ - وَأَغْرَتَهُ لَذَّتُهُ بِإِفْسَادِ مَا زَرَعْتُهُ مِنْهُ . فَلَمْ أَرِ بُدًّا مِنْ تَسْوِيرِ الْحَقْلِ بِسِيَاحٍ مِنْ

(١) صبري ومواظبتي . (٢) استطاب .

الأعشاب المرتفعة . وقد جهدني ذلك ثلاثة أسابيع . ولم آلُ
 جهداً في مطاردة هذه الأعداء الخبيثة نهاراً ، فإذا جاء الليلُ ربّطتُ
 الكلبَ إلى حبلٍ طويلٍ مُثبّتٍ في بابِ الحقلِ ، فلا يفتأُ ينبعُ طولَ
 الليلِ حتّى يُزعجها ؛ فلمْ تلبثْ أنْ هجرتِ البُقعةَ الّتي كنتُ فيها ،
 ولمْ تمُدْ تدنوا منها بعد ذلك . واسترحتُ من عبثِ هذه الأعداء^(١) ،
 حتّى حانَ وقتُ الحصادِ . فظهرَ لى أعداءُ جددُ ؛ إذ أقبلتِ الطيورُ على
 سنابلِ الشعيرِ تلتهمها ، واستمرّأتْ هذا الطّعامَ الشهيّ . على أنّي لمْ
 أَيْدَسْ مِنَ النَّجَاحِ في مطاردتها ، فظَلِلْتُ أخروسُ حَقْلِي لَيْلَ نَهَارَ ،
 وأصطادُ يَنْدُقِي كُلَّ طَائِرٍ يَدْأُو مِنْ حَقْلِي ؛ حتّى دَعَرَتِ الطيورُ
 وتملّكها الرُّعبُ ، فهجرتِ الحقلَ وما يكتنفه^(٢) ، ولمْ تجرؤْ على الدُّنُو
 مِنْ هَذِهِ البُقعةِ . وهكذا تمّ لي الظَّفَرُ ، وأرتاحَ بالي ، ونَضَجَ الزَّرْعُ
 في الأيامِ الأخيرةِ مِنْ « دِيسَمْبَر »

٢ - أدواتُ الزّارعِ

وقدِ اشْتَدَّتْ حَيْرَتِي وَأَرْتَبَاكِي حِينَ هَمَمْتُ بِجَنِّي هَذَا الْمَحْصُولِ

(١) ما فعلته من الأذية . (٢) ما يحيط به .

وَلَيْسَ عِنْدِي مِنَ الْأَدَوَاتِ مَا يُسَاعِدُنِي عَلَى ذَلِكَ . وَعَنْ لِي أَنْ أَصْنَعَ
مِنْجَلًا ، وَهُوَ آلَةٌ مِنَ الْحَدِيدِ مُنْحَنِيَّةٌ يُقَطَّعُ بِهَا الزَّرْعُ .

فَصَنَعْتُهُ مِنْ سَيْفٍ وَغُضْنِ شَجَرَةٍ . وَقَطَعْتُ السَّنَابِلَ ، ثُمَّ فَرَكَتُهَا
بِيَدَيَّ ، وَعَزَمْتُ عَلَى بَذَرِهَا جَمِيعًا فِي الْمَوَسِمِ الْقَابِلِ . وَهُنَا تَمَثَّلَ لِي
مِقْدَارُ مَا يُعَانِيهِ الْإِنْسَانُ

إِذَا حَاوَلَ — بِمُفْرَدِهِ —

أَنْ يَظْفَرَ بِرَغِيفٍ وَاحِدٍ
مِنَ الْخُبْزِ ؛ فَقَدْ كُنْتُ

فِي حَاجَةٍ إِلَى مِخْرَاطٍ
وَقَاسٍ وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنْ

أَدَوَاتِ الزَّرَاعَةِ . فَإِذَا نَمَّ
الْحَصَادُ أَشَدَّتْ حَاجَتِي

إِلَى طَاحُونَةٍ وَمُنْخَلٍ وَفُرْنٍ

وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنَ الْمِلْحِ وَغَيْرِهِ . وَلَكِنَّ الْحَدَّ وَالْمُشَابَرَةَ كَفِيلَانِ بِالتَّغْلِبِ
عَلَى كُلِّ عَقَبَةٍ . وَقَدْ تَمَّ لِي كُلُّ مَا أَرَدْتُ بِفَضْلِ الْمَرِيَمَةِ عَلَى الْعَمَلِ ،



لِأَنِّي كُنْتُ لَا أَصْبِيحُ وَقَدْنِي عَبَثًا . فَإِذَا هَطَلَتِ الْأَمْطَارُ لَرِمْتُ يَنِّي ،
وَأَقْبَلْتُ قَلِيَّ يَبْغَايَ أَعْلَمُهَا النُّطْقَ ، حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى نَتَائِجِ بَاهِرَةٍ .

٣ - صِنَاعَةُ الْفَخَّارِ

وَلَمَّا كَانَتِ الْحَاجَةُ تَفْتَحُ الْحِيلَةَ^(١) ، اصْطَرَّتْ إِلَى مُزَاوَلَةِ صِنَاعَةِ
الْفَخَّارِ ، وَلَمْ يَكُنْ لِي بِهَا عَهْدٌ مِنْ قَبْلُ . وَقَدْ نَجَحْتُ فِي ذَلِكَ - بَعْدَ
مَرَانَةٍ طَوِيلَةٍ ، وَتَجَارِبَ كَثِيرَةٍ - فَصَنَعْتُ كَثِيرًا مِنَ الْجَرَارِ^(٢)
وَالْأَوَانِي وَالْقِصَاعِ^(٣) وَالْمِصْحَافِ^(٤) . وَمَا زِلْتُ أُرَتِّقِي فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ
حَتَّى بَلَغْتُ حَدًّا تَجْدِيرًا بِالتَّهْنِئَةِ .

٤ - الرُّورْقُ الْكَبِيرُ

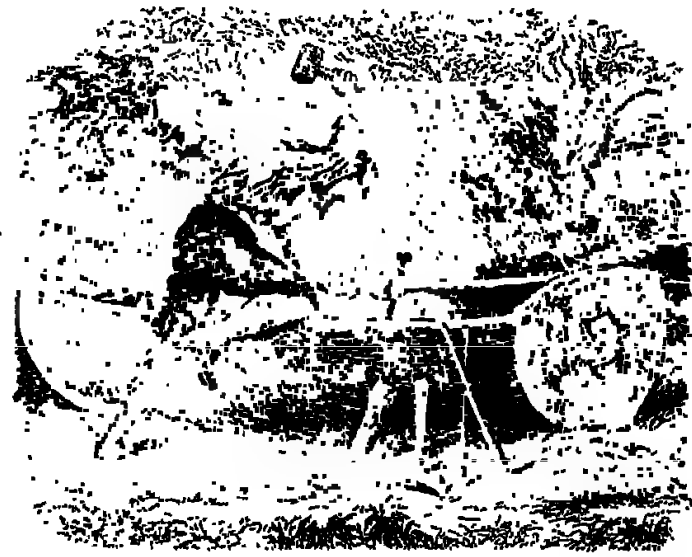
عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْأَعْمَالِ السَّكَثِيرَةَ الْمُرْهِقَةَ لَمْ تُنَسِّنِي رَغْبَتِي الشَّدِيدَةَ
فِي أُرْتِيَادِ الْأَرْضِ الْبَعِيدَةِ الَّتِي رَأَيْتُهَا - مِنْ قَبْلُ - تُجَاهَ الْجَزِيرَةِ .
فَقَدْ كُنْتُ أَمْلُ أَنْ أَجِدَ فِيهَا وَسِيلَةً لِلْمَوَدَّةِ إِلَى «لَنْدَن» .

(١) الصَّروَرَةُ نَحَتْ عَلَى ابْتِكَارِ الْحِيلَةِ (٢) حَمَلُ جِرَّةٍ (٣) حَمَلُ قِصْعَةٍ

(٤) حَمَلُ صَحْفَةٍ . وَهِيَ الطَّبَقُ .

وَذَكَرْتُ زَوْرَقَ السَّفِينَةِ الَّتِي انْقَلَبَ بِرِفاقي ، فرأيتُهُ لا يزالُ
كما هوَ عَلَى مَقَرَّبَةٍ مِنَ الشَّاطِئِ مَقْلُوبًا ، وقد غاصَ جُزْءٌ مِنْهُ فِي رِمَالِ
الشَّاطِئِ ، وحاوَلْتُ أَنْ أَرْفَعَهُ مِنْ مَكَانِهِ ، فَذَهَبَتْ كُلُّ جُهودِي عَبَثًا .

فَأَقْبَلْتُ عَلَى



جُذُوعِ الْأَشْجارِ ،

وَبَذَلْتُ كُلَّ مَا فِي

وُسْعِي زَمَنًا طَوِيلًا ،

حَتَّى صَنَعْتُ زَوْرَقًا

كَبِيرًا يَسَعُ سِتَّةَ

وَعِشْرِينَ رَاكِبًا .

وَلَكِنِّي عَجَزْتُ عَنْ نَقْلِهِ إِلَى الْبَحْرِ ، وَأَعْيَيْتَنِي الْفَحِيلُ فِي ذَلِكَ ،

وَاسْتَحَالَ عَلَيَّ أَنْ أُزَحِّجَهُ عَنْ مَكَانِهِ ، كما اسْتَحَالَ عَلَيَّ أَنْ أُزَحِّجَ

زَوْرَقَ السَّفِينَةِ مِنْ قَبْلُ .

٥ - الزورق الجديد

وانقضى العام الرابع، فانتظمت أموري واستقامت. وقد صنعتُ
— فيما صنعتُ — قلنسوة^(١) كبيرة من فراء الجداء التي تصيدتها،



كما صنعتُ منها جلباباً وسروالاً
وبعض الثياب، لتقيني غائلة
البرد في الشتاء. وصنعتُ مظلة
لتقيني غائلة الحر في الصيف
— فقد كانت الجزيرة واقعةً
بالقرب من خط الاستواء،
وكان قبطها^(٢) لذلك لا يُحتملُ—
فسهلتُ على السير نهاراً من
غير عناء، وآمنتني من المطر

والشمس. وكان شغلي الشاغل أن أصنع زورقاً أصغر من الزورق
الذي صنعتُهُ. ولم ينتهِ العام الخامس حتى أتممتُ صنعه. ونجحتُ

فِي ذَلِكَ نَجَاحًا بَاهِرًا . فَجَعَلْتُ لَهُ شِرَاعًا ، وَثَبَّتُ فِيهِ مِظْلَةً كَبِيرَةً .
وَعَقَدْتُ الْعَزْمَ عَلَى الطَّوْفِ حَوْلَ الْجَزِيرَةِ لِاتِّعَرَفَ مَدَى هَذِهِ
الْمَمْلَكَةِ الَّتِي كَتَبَ عَلَى الْقَدَرُ أَنْ أَكُونَ مَلِيكَهَا ، أَوْ - عَلَى
الْأَصَحِّ - مَدَى هَذَا السَّجْنِ الَّذِي أَتَيْتُ عَلَى الْمَقَادِيرُ إِلَّا أَنْ أَكُونَ
حَلِيفَةً^(١) وَسَجِينَهُ .

وَهَكَذَا أَعَدَدْتُ الطَّعَامَ وَالْمَاءَ لِهَذِهِ الرِّحْلَةِ . وَلَمْ أُنَسَ سِلَاحِي
لِدَافِعٍ بِهِ عَنْ نَفْسِي إِذَا حَانَ وَقْتُ الْخَطَرِ . وَأَزْمَنْتُ^(٢) التَّجْوَالَ حَوْلَ
الْجَزِيرَةِ ، بَعْدَ تَرَدُّدٍ طَوِيلٍ .

٦ - الطَّوْفُ حَوْلَ الْجَزِيرَةِ

وَبَدَأْتُ هَذِهِ الرِّحْلَةَ فِي الْيَوْمِ السَّادِسِ مِنْ « نُوفَمْبَرٍ » ، بَعْدَ
أَنْ مَرَّ عَلَى سِتَّةِ أَغْوَامٍ فِي مَمْلَكَتِي ، أَوْ فِي سِجْنِي إِنْ تَوَخَّيْتُ^(٣)
الْصُّدْقَ فِي التَّنْبِيهِ ! وَكَانَتْ هَذِهِ السَّيَاحَةُ أَطْوَلَ مِمَّا قَدَّرْتُ .

وَقَدْ تَعَرَّضْتُ - فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ الرِّحْلَةِ - لِكَثِيرٍ مِنَ الْأَخْطَارِ ،
وَلَكِنْ تَوَفَّقَ اللَّهُ لِإِزْمَانِي ، حَتَّى عُدْتُ إِلَى يَتِيِّ الرِّيِّ - ذَاتَ
مَسَاءٍ - وَقَدْ جَهَدَنِي^(٤) التَّعَبُ ، فَاسْتَسَلَمْتُ لِنَوْمٍ عَمِيقٍ .

(١) ملازمه . (٢) قررت . (٣) قصدت . (٤) أضغمت .

٧ - مُفَاجَأَةُ الْبَيْتَاءِ

شَدَّ مَا تَمَلَّكَنِي الدَّهْشُ حِينَ طَرَقَ أَذُنِي صَوْتُ مُنَادِيَنِي بِاسْمِي ،
وَيَقُولُ فِي وُضُوحٍ وَجَلَاءٍ :

« رُوبِنْسَن ! إِيهِ يَا رُوبِنْسَن ! هَا أَنْتَ ذَا يَا رُوبِنْسَن ! مِسْكِينُ أَنْتَ



يَا رُوبِنْسَن ! أَيْنَ أَنْتَ ؟ وَأَيْنَ
كُنْتَ ؟ وَكَيْفَ تَجِدُكَ يَا رُوبِنْسَن
كُرُوزُو ؟ »

وَقَدْ خُيِّلَ إِلَيَّ أَنَّنِي حَالِمٌ ،
وَلَكِنَّ الصَّوْتَ عَادَ يَقُولُ :

« رُوبِنْسَن كُرُوزُو ! إِيهِ يَا رُوبِنْسَن ! »

فَاسْتَيْقَظْتُ مِنْ نَوْمِي الْعَمِيقِ ،
وَقَدْ تَمَلَّكَنِي الدَّهْشَةُ وَالذُّعْرُ .

وَمَا تَبَيَّنْتُ جَلِيَّةَ الْأَمْرِ حَتَّى

حَاوَذْتَنِي الطُّمَأْنِينَةُ ، وَسَرَّيَ عَنْ نَفْسِي ^(١) ، إِذْ عَلِمْتُ أَنَّ بَغَائِي هِيَ

مَصْدَرُ هَذَا الصَّوْتِ . فَقَدْ رَأَيْتُهَا قَائِمَةً عَلَى السِّيَاحِ ، فَعَجِبْتُ مِنْ
 اهْتِدَائِهَا إِلَى هَذَا الْبَيْتِ ، وَقَدْ تَرَكْتُهَا فِي الْكَهْفِ . وَعَجِبْتُ مِنْ تَخْيِيرِهَا
 هَذَا الْمَكَانَ . وَلَمْ أَهْتَدِ إِلَى حَلِّ هَذَا اللُّغْزِ . ثُمَّ نَادَيْتُهَا بِاسْمِهَا ، فَأَسْرَعَتْ
 إِلَيَّ ، وَوَقَفَتْ عَلَى إِبْهَامِي ، وَهِيَ تُكَرِّرُ سُؤَالَهَا مَسْرُورَةً مُبْتَهِجَةً بِلِقَائِي :
 « أَيْنَ كُنْتَ يَا رُوبِنْسَنُ كُرُوزُ ؟ أَيْنَ كُنْتَ يَا مِسْكِينُ ؟ »
 فَأَخَذْتُهَا مَعِيَ إِلَى الْكَهْفِ ، حَيْثُ عِشْتُ زُهَاءً عَامٍ^(١) فِي عَزْلَةٍ
 السَّجِينِ وَلَمْ يَكُنْ يُنْغَصُّ^(٢) عَلَى صَفَائِي وَسَعَادَتِي فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ
 إِلَّا أَنَّهَا مُقْفَرَةٌ حَازِبَةٌ^(٣) لَيْسَ بِهَا أَنْيْسٌ .

٨ — صَيْدُ التَّمِيزِ

وَقَدْ أَتَقَنْتُ كَثِيرًا مِنَ الصَّنَاعَاتِ ، وَبَرَعْتُ فِيهَا بَرَاعَةً نَادِرَةً ،
 وَنَجَحْتُ فِي صِنَاعَةِ الْفَخَّارِ وَعَمَلِ السَّلَالِ . وَكُنْتُ أَصْطَادُ التَّمِيزِ
 وَالسَّلَاحِ كَمَا أَحْتَجُّ إِلَى ذَلِكَ . فَرَأَيْتُ الْبَارُودَ الَّذِي أُدْخِرْتُهُ عِنْدِي
 قَدْ تَقَصَّ ، فَخَشِيتُ أَنْ يَنْفَدَ ، وَبِذَلِكَ أَعْجِزُ أَنْ أَصْطَادَ شَيْئًا مِنَ الْحَيَوَانِ .
 فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا مِنْ تَغْيِيرِ خُطَّتِي^(٤) هَذِهِ ، فَتَنَصَّبْتُ شَبَاكًا لِأَصْطَادِ

(١) لَمَوْسَةً . (٢) تَكْدَرُ . (٣) بَعِيدَةٌ . (٤) طَرِيقَتِي .

مَعِيزًا عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ . وَلَمْ تَكُنْ شِبَاكِ صَالِحَةً لِصَيْدِهَا ، فَقَدْ أَفْلَسَتْ مِنْهَا الْمَعِيزُ الَّتِي وَقَعَتْ فِيهَا ، لِضَعْفِ حِبَالِهَا . فَلَجَأَتْ إِلَى طَرِيقَةٍ أُخْرَى .

وَذَلِكَ أَنِّي حَفَرْتُ حُفْرًا عَمِيقَةً فِي الْجِهَاتِ الَّتِي اعْتَادَتْ الْمِعْزَى أَنْ تَرْتَادَهَا^(١) ، وَغَطَّيْتُ تِلْكَ الْحُفْرَ بِشِبَاكِ مِنْ شَجَرِ الصَّبْصَافِ ، وَأَلْقَيْتُ عَلَيْهَا طَبَقَةً مِنَ التُّرَابِ ، وَغَرَسْتُ فِيهَا سَنَابِلَ مِنَ الرُّزِّ وَالشَّعِيرِ . وَقَدْ أَخْفَقْتُ^(٢) هَذِهِ الطَّرِيقَةَ — كَمَا أَخْفَقْتُ سَابِقَتَهَا مِنْ قَبْلُ — فَقَدْ كَانَتْ الْمَعِيزُ تَنْفِرُ مِنْهَا . ثُمَّ لَمْ تَلْبَثْ أَنْ خُدِعَتْ — بَعْدَ قَلِيلٍ — فَهَوَى فِي إِحْدَى الْحُفَرِ تِنْسٌ عَنِيدٌ ؛ فَلَمَّ أَفْلَحَ فِي تَسْكِينِ ثَوْرَتِهِ وَهَيَاجِهِ ، فَاضْطَرَرْتُ إِلَى إِطْلَاقِهِ . وَلَوْ أَنَّنِي تَرَكَتُهُ فِي الْحُفْرَةِ أَيَّامًا حَتَّى يَدُوَّخَهُ الْجُوعُ فَيَسْتَأْسَ^(٣) قِيَادَهُ ، لَمَّ لِي مَا أَرَدْتُ . وَلَكِنَّ هَذِهِ الْفِكْرَةَ لَمْ تَمُرَّ بِخَاطِرِي إِلَّا نَيْشًا^(٤) .

ثُمَّ وَقَعَ فِي حُفْرَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ مَاعِرَتَانِ صَغِيرَتَانِ وَجَدَي صَغِيرٌ ، فَأَخَذْتُهَا جَمِيعًا إِلَى مَسْكَنِي . وَقَدْ أَبَتْ أَنْ تَأْكُلَ شَيْئًا ، ثُمَّ رَاضَاهَا الْجُوعُ^(٥) ، وَأَضْطَرَّهَا إِلَى أَكْلِ مَا قَدَّمْتُهَا لَهَا مِنَ الْحُبُوبِ .

(١) . تَرُوحُ فِيهَا وَتَجِي . (٢) لَمْ تَنْجُحْ . (٣) يَلِينُ . (٤) بَعْدَ فَوَاتِ الْفُرْسَةِ . (٥) دَلَاهَا .

وَبَدَأْتُ جُهْدِي فِي تَهْيِئَةِ مَرْعَى خِصْبٍ ، وَسَوَّرْتُهُ بِسِيَاجٍ مَتِينٍ
 مِنَ الْأَعْشَابِ الْكَثِيفَةِ ، حَتَّى لَا تَجِدَ إِلَى الْفِرَارِ سَبِيلًا .
 وَظَلَلْتُ أُنْعِمُهَا بِأَحْسَنِ أَلْوَانِ الطَّعَامِ الْحَبِيبِ إِلَى نَفْسِهَا مِنْ
 سَنَابِلِ الشَّعِيرِ وَجُوبِ الرُّزِّ حَتَّى أُنِسْتُ بِي . فَكَكْتُ رِبَاطَهَا
 فَلَمْ تَهْرُبْ مِنِّي ، وَظَلْتُ تَتَّبِعُنِي أَنَّى سِرْتُ ، وَتَتَنَوَّنُ^(١) فَرِحَةً بِمَقْدَمِي
 كُلَّمَا رَأَتْنِي . وَبَعْدَ عَامٍ وَنِصْفٍ عَامٍ أَصْبَحَ لَدَيَّ قَطِيعٌ^(٢) لَا يَقِلُّ
 عَنْ اثْنَيْ عَشَرَ جَذِيًّا وَعِزًّا . ثُمَّ تَضَاعَفَ الْمَدْدُ عَلَيَّ مَرَّةً الْآيَامَ ،
 وَأَصْبَحْتُ حَيَاتِي رَعْدًا^(٣) ، وَعَيْشَتِي وَادِعَةً نَاعِمَةً ؛ فَقَدْ كَانَتْ تُدِرُّ^(٤)
 مَقَادِيرَ وَافِرَةٍ مِنَ اللَّبَنِ . فَلَمْ أَضِعْ هَذِهِ الْفُرْصَةَ ، وَعَزَمْتُ عَلَى صُنْعِ
 الْجُبْنِ وَالزُّبْدِ مِنَ أَلْبَانِهَا ، وَلَمْ يَكُنْ لِي بِذَلِكَ عَهْدٌ مِنْ قَبْلُ .
 وَمَا زِلْتُ أُدَرِّبُ نَفْسِي عَلَى هَذَا الْعَمَلِ ، حَتَّى وُفِّقْتُ إِلَيْهِ ، وَنَجَحْتُ
 فِي تَحْقِيقِهِ أَكْبَرَ نَجَاحٍ .

٩ - رِفَاقُ « رُوبِنْسَن »

وَكَانَتْ مَا يَدْعَى - فِي كُلِّ يَوْمٍ - حَافِلَةً^(٥) بِشَتَّى أَلْوَانِ

(١) تَرَدَّدَ مَتَوَّجًا . (٢) جَمْعُ . (٣) هَالِكَةٌ . (٤) تَعَطَّى . (٥) مَلُوءَةٌ

الغداء . وقد نَعِمْتُ بِرِفاقِ الْخُلَفاءِ : فَالْبَيْضاءُ تُنادِئُنِي ^(١) وَتُسَلِّينِي بِحَدِيثِهَا ، وَالْكَلْبُ يَجْلِسُ إِلَى يَمِينِي - عَلَى الْمَائِدَةِ - وَيَجْلِسُ الْقِطَّانُ إِلَى يَسَارِي مُتَقَابِلَيْنِ . وَقَدْ عَلِمَ الْقَارِئُ - فِيما سَبَقَ - أَنَّنِي أَحْضَرْتُ مَعِيَ قِطَّيْنِ مِنَ السَّفِينَةِ ؛ فَلْيَعْلَمْ الْقَارِئُ الْآنَ أَنَّهُمَا مَاتَا مُنْذُ زَمَنٍ طَوِيلٍ ، بَعْدَ أَنْ نَسَلَا ^(٢) كَثِيرًا مِنَ الْقِطَطِ ، وَلَمْ يُخْلِصْ لِي مِنْهَا غَيْرُ هَذَيْنِ الْقِطَّيْنِ . أَمَّا إِخْوَتُهُمَا فَكَانَتْ شَرِيرَةً مَآكِرَةً ، تَسْرِقُ كُلُّ مَا تَلْقَاهُ فِي طَرِيقِهَا مِنَ الطَّعامِ ؛ فَطَرَدْتُهَا مِنْ بَيْتِي شَرَّ طَرْدَةٍ ، بَعْدَ أَنْ نَكَّلتُ بِهَا ^(٣) . فَهَرَبَتْ إِلَى الْغَابَةِ ، وَلَمْ تَلْبَثْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى مَادَتْ إِلَى طَبْعِهَا الْوَحْشَى الشَّرِسَ

١٠ - زِيُّ « رُوبِنْسَن »

لَعَلَّ الْقَارِئَ قَدِ اشْتاقَ إِلَى تَعْرِفِ الزَّيِّ ^(١) الَّذِي اخْتَرْتُهُ لِنَفْسِي كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَجُولَ فِي مَمْلَكَتِي الصَّغِيرَةِ . فَلَأَمَثَلُ لَهُ ذَلِكَ الزَّيُّ الْعَجِيبَ :

(١) تَبَالَسَى . (٢) وَلَدَا . (٣) آذَنِيهَا . (٤) الْمَلَبَسَ .

كَانَتْ قَلَنْسُوتِي ^(١) مُرْتَفِعَةً ، وَقَدْ صَنَعْتُهَا مِنْ جِلْدِ عَظْرِ .
 وَكَانَتْ عَذَبْتُهَا ^(٢) مُدْلَاةً عَلَى قَفَايَ لِتَحْمِيَنِي مِنْ وَهْجِ الشَّمْسِ .
 وَكَانَ سِرْوَالِي مَصْنُوعًا
 مِنْ جِلْدِ تَيْسٍ هَرَمٍ ،
 وَالشَّعْرُ يَتَدَلَّى مِنْهُ إِلَى
 نِصْفِ سَاقِي .

وَكُنْتُ أَضْعُ فِي
 حِزَابِي - وَهُوَ أَيْضًا
 مِنْ جِلْدِ الْمَعِيزِ - مِشَارًا وَقُدُومًا ،
 وَأَحْمِلُ عَلَى كَتِفِي بُنْدُقيَّةً ، وَأَحْمِلُ
 عَلَى ظَهْرِي سَلَّةً كَبِيرَةً ، فِيهَا
 طَعَامِي وَشَرَابِي ، وَفِي يَدَيَّ مِظْلَتِي ،



لِتَقِيَنِي لَفْحَ الشَّمْسِ ^(٣) ، وَهُطُولَ الْأَمْطَارِ .

(٣) حرها

(١) غطاء رأسي . (٢) طرفها

الفصل السابع

جُمعة

١ - آثارُ أَقدامٍ



وفى ذاتِ يومٍ
رَأَيْتُ آثَارَ أَقدامٍ
واضِحَةً عَلَى الرَّمْلِ ؛
فَتَمَلَّكَنِي الدُّعْرُ ،
وَحِيلَ إِلَيَّ أَنْ صَاعِقَةً
أَنْقَضَتْ عَلَى .

وَتَلَفَّتْ حَسَوِي
خَائِفًا ، وَأَرْهَفْتُ
أُذُنِي (١) فَلَمْ أَرِ إِنْسَانًا ،
وَلَمْ أَسْمَعْ صَوْتًا .
وَصَعِدْتُ إِلَى أَعْلَى

(١) أَسْنَيْتُ .

هَضْبَةٍ مُرْتَفَعَةٍ ، وَأَجَلْتُ لِحَاطِي فِي كُلِّ مَكَانٍ ، فَلَمْ أَحِذْ شَيْئًا يَدُلُّ عَلَى
أَنْ فِي هَذَا الْمَكَارِ إِنْسِيًّا . وَقَدْ كَذْتُ أَظُنُّنِي وَاهِمًا^(١) فِيمَا رَأَيْتُ ،
وَلَكِنْ آثَارُ الْقَدَمِ - وَهِيَ عَارِيَّةٌ - لَمْ تَدْبَعْ لِي مَجَالًا لِلشَّكِّ .
فَقَدْ رَأَيْتُ الْأَصَابِعَ وَالْقَبْ مُرْتَسِمَةً عَلَى الرَّمْلِ ، فَلَمْ يَبْقَ عِنْدِي
رَيْبٌ^(٢) فِي حَقِيقَةِ مَا رَأَيْتُ . فَأَسْرَعْتُ إِلَى كَهْفِي ، وَقَدْ خُيِّلَ إِلَيَّ
أَنْ جِئْتُهَا آجِبًا^(٣) يُطَارِدُنِي . وَبِتُّ لَيْلَةً نَائِغِيَّةً^(٤) ، وَلَمْ يَزِرِ النَّوْمُ جَفْنِي
حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ، مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ .

وَلَزِمْتُ يَدَيَّ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ كَامِلَةٍ ، ثُمَّ اضْطَرَرْتُ الْجُوعُ إِلَى الْخُرُوجِ
إِلَى يَدَيَّ الْآخِرِ الَّذِي بَنَيْتُهُ بَيْنَ الْكُرُومِ^(٥) .

٢ - الْحَيْظَةُ

وَهَكَذَا تَمَلَّكَنِي الدُّعْشَةُ وَالْحَيْرَةُ . فَقَدْ مَرَّ عَلَيَّ - فِي هَذِهِ
الْجَزِيرَةِ - خَمْسَةُ عَشَرَ عَامًا ، لَمْ أَشْهَدْ فِيهَا أَحَدًا ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ
رُؤْيَايَ أَثَرِ الْقَدَمِ .

(١) متخيلاً . (٢) شك . (٣) كدراً .
(٤) ليلة طويلة ساعلة بالهموم . (٥) أشجار العنب .

ثُمَّ قُلْتُ فِي نَفْسِي : « لَعَلَّ بَعْضَ سُكَّانِ تِلْكَ الْقَارَةِ الْمُجَاوِرَةِ
قَدْ وَفَدُوا عَلَى جَزِيرَتِي ؛ عَلَى أَنَّهُمْ سَيَتَرَكُونَهَا بَعْدَ أَنْ يَجِدُوهَا غَيْرَ
صَالِحَةٍ لِلْإِقَامَةِ . »

وَرَأَيْتُ أَنْ أَخْطَا لِلطَّوَارِي ، حَتَّى لَا يُفَاجِئَنِي الْأَعْدَاءُ ؛ فَزِدْتُ
فِي تَحْصِينِ مَغَارَتِي ، كَمَا حَصَّنْتُ يَنْتِي الْآخَرَ .
وَكُنْتُ لَا أَدْخُلُ الْبَيْتَ إِلَّا مُسْتَعِينًا بِسُلَمَيْنِ ،
فَإِذَا انْتَهَيْتُ مِنْ صُعُودِي الْأَوَّلِ رَفَعْتُ السُّلْمَ ،
ثُمَّ وَضَعْتُهُ فَوْقَ صَخْرَةٍ نَائِيَةٍ ^(١) لِأَصِلَ إِلَى حِصْنِي .
ثُمَّ رَفَعْتُ السُّلْمَ مَرَّةً أُخْرَى ، لِيُصْبِحَ مُسْتَحِيلًا
عَلَى كَائِنٍ كَانَ أَنْ يَصْعَدَ إِلَيَّ .
وَلَمْ يَمُضْ عَلَى عَامَانِ - بَعْدَ ذَلِكَ - حَتَّى
أَصْبَحْتُ عَلَى أَمِّ أَهْبَةٍ ^(٢) لِلنَّجَاةِ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ .

٣ - آثَارُ النِّيلَانِ

وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ كُنْتُ أُرْتَادُ الْجَزِيرَةَ عَلَى عَادَتِي ،

(١) بَعِيدَةٌ . (٢) اسْتِعْدَادٌ .



وَأَتَرَفُ الْجِهَاتِ النَّائِيَةِ الَّتِي لَمْ تَطَّأْهَا قَدَمَايَ مِنْ قَبْلُ . فَرَأَيْتُ مِنْ آثَارِ
الْمُتَوَحِّشِينَ مَا فَزَعَنِي ، وَمَلَأَ قَلْبِي رُغْبًا وَهَلَمًا . فَقَدْ ظَهَرَ لِي أَنَّ هَؤُلَاءِ
الْمُتَوَحِّشِينَ الِهَمَجَ يَحِيثُونَ بِالْأَسْرَى — بَعْدَ أَنْ يَظْفَرُوا بِهِمْ فِي مَعَارِكِهِمْ ^(١) —
إِلَى الشَّاطِئِ الْجَنُوبِيِّ الْقَرْبِيِّ مِنْ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ ، ثُمَّ يَشَوْنَهُمْ لُحُومُهُمْ عَلَى
النَّارِ وَيَأْكُلُونَهَا . وَقَدْ رَأَيْتُ كَثِيرًا مِنَ الْجَمَاجِمِ وَالْأَشْلَاءِ ^(٢) مُبَعَثَةً فِي
تِلْكَ الْبُقْعَةِ ، عَلَى مَكَانٍ قَرِيبٍ مِنَ الرَّمَادِ الْكَثِيرِ الَّذِي خَلَفَتْهُ النَّارُ .

وَرَجَعْتُ إِلَى مَسْكَنِي مَهْمُومًا شَدِيدَ الْأَلَمِ مِمَّا رَأَيْتُ . وَتَبَيَّنَ لِي
— حِينَئِذٍ — أَنَّ آثَارَ تِلْكَ الْأَقْدَامِ الْبَشَرِيَّةِ الَّتِي رَأَيْتُهَا مُنْذُ صَامِنٍ ،
لَمْ تَكُنْ إِلَّا آثَارَ أَقْدَامِ هَؤُلَاءِ الْفِيلَانِ . فَاطْمَأْنَنْتُ نَفْسِي قَلِيلًا ،
بَعْدَ أَنْ عَرَفْتُ هَذَا السَّرَّ الَّذِي لَمْ أَهْتَدِ إِلَى مَعْرِفَتِهِ مَدَى صَامِنٍ ،
وَكَانَ مَجْلَبَةً ^(٣) لِلْخَوْفِ وَالْفَزَعِ .

وَأَذْرَكْتُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْفِيلَانِ لَا يَبْتَخُونُ عَنْ شَيْءٍ فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ ،
وَأَنَّهُمْ لَا يَحِيثُونَهَا إِلَّا لِيُقِيمُوا مَا دَبَّحَهُمْ ^(٤) فِيهَا ، كُلَّمَا ظَفَرُوا بِأَسْرَاهُمْ
فِي الْحُرُوبِ .

(١) حروبهم . (٢) الأعداء . (٣) سبيًا . (٤) يجالس أكلهم .

وَلَقَدْ مَرَّ بِ ثَمَانِيَةِ عَشَرَ حَامًا ، لَمْ تَقَعْ عَيْنَايَ - فِي أَثْنَائِهَا -
عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ . فَلَمَّا رَأَيْتُ مَا رَأَيْتُ ، اُعْتَصَمْتُ ^(١) بِالْحَذَرِ ، وَأَعْدَدْتُ
الْمُدَّةَ لِلطَّوَارِي ؛ حَتَّى لَا تُفَاجِئَنِي الْحَوَادِثُ عَلَى غِرَّةٍ ^(٢) .

٤ - مَادُبَةُ الْغِيلَانِ

وَفِي شَهْرِ « دِيسْمَبِر » - وَكَانَ قَدْ مَرَّ عَلَيَّ حِينَئِذٍ ثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ
حَامًا فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ الثَّانِيَةِ - لَمْ أَخْرُجْ مِنْ يَدِي لِلْحَصَادِ فِي
فَجْرِ هَذَا الْيَوْمِ حَتَّى رَأَيْتُ نُورًا بِالقُرْبِ مِنَ الشَّاطِئِ ، عَلَى بُعْدِ
نِصْفِ مِيلٍ مِنْ يَدِي . وَلَمْ أَكُنْ رَأَيْتُ هَؤُلَاءِ الْغِيلَانَ يَرْتَادُونَ هَذِهِ
الْبُقْعَةَ مِنْ قَبْلُ ؛ فَدَهَشْتُ ، وَتَمَلَّكَنِي الرُّعْبُ وَالْفَزَعُ . وَرَجَعْتُ
إِلَى يَدِي مُسْرِعًا ، وَرَفَعْتُ السَّلْمَ ، وَتَأَهَّبْتُ لِلدَّفَاعِ عَنْ نَفْسِي .
وَوَظَلِمْتُ أَتَرَقَّبُ الْعُدُوَّ سَاعَتَيْنِ ، ثُمَّ لَمْ أَطِقْ صَبْرًا عَلَى الْبَقَاءِ أَكْثَرَ
مِنْ ذَلِكَ ؛ فَصَعِدْتُ حَتَّى بَلَغْتُ أَعْلَى الصَّخْرَةِ - بَعْدَ أَنْ وَضَعْتُ عَلَيْهَا
السَّلْمَيْنِ - وَأَنْبَطَخْتُ عَلَى الْأَرْضِ . وَنَظَرْتُ إِلَيْهِمْ بِمِنْظَارِي ؛ فَرَأَيْتُ
تِسْعَةً مِنْ هَؤُلَاءِ الْغِيلَانِ جَالِسِينَ - فِي شَكْلِ حَلَقَةٍ - حَوْلَ نَارٍ

(١) تَمَكَّتْ . (٢) غَفْلَةٌ .

مُوقَدَّةً ، لِيَهَيِّثُوا طَعَامَهُمْ مِنَ الْأَسْرَى الَّذِينَ جَاءُوا بِهِمْ إِلَى هَذِهِ الْجَزِيرَةِ .



وَقَدْ جَاءَ الْغِيلَانُ عَلَى
زَوْرَقَيْنِ ، وَجَذَبُوهُمَا
إِلَى الشَّاطِئِ ، وَانْتَظَرُوا
الْجَزَرَ حَتَّى يَعُودُوا
أُذْرَاجَهُمْ . فَعَلِمْتُ
أَنَّهُمْ لَا يَرَكْبُونَ
الْبَحَرَ إِلَّا فِي أَوْقَاتِ
الْجَزْرِ ، فَاطْمَأْنَنْتُ
نَفْسِي إِلَى ذَلِكَ ،
وَأَصْبَحْتُ أَمْشِي فِي
الْجَزِيرَةِ آمِنًا ، فِي

أَوْقَاتِ الْمَدِّ . فَإِذَا انْحَسَرَ مَاءُ الْبَحْرِ أَخَذْتُ حَذَرِي مِنْهُمْ ، وَاسْتَعْدَدْتُ
لِلطَّوَارِيِ وَالْمُفَاجَأَاتِ . وَلَمْ يَبْدَأِ الْجَزْرُ حَتَّى رَكَبُوا الزَّوْرَقَيْنِ .
بَعْدَ أَنْ رَقَصُوا طَوِيلًا ، وَظَلُّوا يَجْدِفُونَ بِقُوَّةٍ حَتَّى اخْتَفَوْا عَن نَظَرِي ،

فَأَسْرَعْتُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ فِيهِ هَوْلَاءُ الْفِيلَانِ؛ فَرَأَيْتُ



— مِنْ أَثَرِ الْمَادُبَةِ الَّتِي

أَقَامُوهَا — مَا رَوَّعَنِي :

رَأَيْتُ الْعِظَامَ الْبَشَرِيَّةَ

مُتَنَائِرَةً حَوْلَ النَّارِ ؛

فَنَارَتْ نَفْسِي ، وَكِدْتُ

أَتَمِيرُ مِنَ الْفَيْظِ . وَقَدْ أَشْتَدَّ حَنْقِي ^(١) عَلَى هَذِهِ الْقَسْوَةِ ، وَعَزَمْتُ عَلَى

أَلْفَتِكَ بِأَوَّلِ مَنْ أَقَابَلَهُ مِنْ هَوْلَاءِ الْفِيلَانِ .

ه — نَجَاةُ الْأَسِيرِ

وَضَلَلْتُ مُصِرًّا عَلَى مُنَاجَزَةِ ^(٢) الْفِيلَانِ مُدَّةً طَوِيلَةً . وَمَضَى عَلَى ذَلِكَ

ثَمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا ، لَمْ أَعُثْ — فِي أَثْنَائِهَا — عَلَى أَثَرِ لِهَوْلَاءِ الْهَمِجِ .

وَفِي صَبَاحِ يَوْمٍ رَأَيْتُ عَلَى الشَّاطِئِ سِتَّةَ زَوَارِقَ ؛ فَعَلِمْتُ أَنَّ عَدَدَ

الْقَادِمِينَ لَا يَقِلُّ عَنْ ثَلَاثِينَ . فَرَجَعْتُ إِلَى حِصْنِي ، وَرَأَيْتُهُمْ

(١) زاد غيظي . (٢) محاربة .

يَنْظَرِي؛ فَكَانَ عَدَدُهُمْ كَمَا تَوَقَّعْتُ مِنْ قَبْلُ . وَتَاهَبْتُ لِمُنَاجَزَتِهِمْ ،
 كَلَّفَنِي ذَلِكَ مَا كَلَّفَنِي . وَرَأَيْتُهُمْ يَرْقُصُونَ وَقَدْ اسْتَوَلَى عَلَيْهِمْ
 الْمَرْحُ^(١) . ثُمَّ أَحْضَرُوا أَسِيرِينَ ، فَقَتَلُوا أَحَدَهُمَا ، وَأَنْتَهَزَ الثَّانِي فُرْصَةً
 اشْتَغَالَهُمَا بِالْأَوَّلِ فَلَاذًا بِالْفِرَارِ . وَظَلَّ يَمْدُو بِأَقْصَى سُرْعَتِهِ ، وَتَبِعَهُ
 ثَلَاثَةٌ مِنَ الْغِيلَانِ ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا اللَّحَاقَ بِهِ .

ثُمَّ اعْتَرَضَهُ خَلِيجٌ صَغِيرٌ؛ فَالْقَى بِنَفْسِهِ فِيهِ ، وَسَبَحَ بِقُوَّةٍ عَجِيبَةٍ حَتَّى
 أَذْرَكَ الشَّاطِئَ الْآخَرَ ، وَلَمْ يُبَالِ بِازْتِفَاجِ الْمَدِّ وَأَصْطِخَابِ الْأَمْوَاجِ .
 وَتَمَقَّبَهُ اثْنَانِ ، وَعَادَ الثَّلَاثُ إِلَى رِفَاقِهِ .

وَرَأَيْتُ الْفُرْصَةَ سَانِحَةً لِإِنْقَازِ هَذَا الْأَسِيرِ ؛ لِأَنِّي كُنْتُ فِي أَشَدِّ
 الْحَاجَةِ إِلَى خَادِمٍ يُعَاوَنُنِي فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ الْمُقْفِرَةِ الْمَازِبَةِ .
 فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِمْ - وَفِي يَدَيَّ بُنْدُقِيَّتِي - وَأَشَرْتُ إِلَى الْأَسِيرِ أَنْ
 يَقِفْ؛ فَلَمْ تَطْمَئِنَّ نَفْسُهُ إِلَيَّ ، وَخَشِيَ أَنْ يَدْنُو^(٢) مِنِّي ، وَحَسِبَنِي
 مِنْ أَعْدَائِهِ . ثُمَّ فَاجَأَتْ أَحَدَ الْمُتَوَحِّشِينَ الَّذِينَ يَتَّبِعَانِي ، فَضَرَبَتْهُ
 بِقَبْضَةِ بُنْدُقِيَّتِي ضَرْبَةً شَدِيدَةً؛ فَخَرَّ صَرِيحًا^(٣) عَلَى الْأَرْضِ . وَحَاوَلَ

(١) الفرج . (٢) يقرب . (٣) وقع ساقطاً .

الثاني أن يُفَوَّقَ^(١) إلى سيّامه ؛ فمَاجَلَتْهُ بِرِصَاصَةٍ أَرَدَتْهُ - مِنْ قُوْرِهِ - قَتِيلًا .

وَوَقَفَ الْأَسِيرُ الْهَارِبُ - حَيْنَئِذٍ - وَقَدْ تَمَلَّكَهُ الدُّعْرُ حِينَ سَمِعَ دَوِيَّ^(٢) الرِّصَاصِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ يَمِيلُ ذَلِكَ عَهْدٌ مِنْ قَبْلُ . فَأَشْرَتْ إِلَيْهِ أَنْ يَدْنُوَ مِنِّي ؛ فَتَرَدَّدَ فِي إِطَاعَةِ أَمْرِي . فَأَشْرَتْ إِلَيْهِ مَرَّةً ثَانِيَةً ؛ فَأَشْتَدَّ فَزَعُهُ ، وَظَلَّ يَتَقَدَّمُ خُطُواتِ يَسِيرَةٍ^(٣) ، ثُمَّ يَقِفُ مُتَرَدِّدًا وَقَدْ أَذْهَلَهُ الرُّعْبُ . فَأَشْرَتْ إِلَيْهِ إِشَارَةً ثَالِثَةً ، وَأَنَا أَحَاوِلُ جَهْدِي أَنْ أَطْمِئِنُّهُ وَأُسَكِّنَ مِنْ رُوعِهِ . فَتَقَدَّمَ حَتَّى دَانَانِي ، وَجَسَّ^(٤) أَمَامِي مُتَوَسِّلًا ضَارِعًا ؛ فَهَشَشْتُ لَهُ ، فَأَنْشَى يُقْبِلُ قَدَمِي ؛ فَتَلَطَّفْتُ لَهُ مُتَوَدِّدًا حَتَّى أَذْهَبَتْ عَنْهُ الْخَوْفُ . ثُمَّ صَحَبْتُهُ إِلَى مَنَارَتِي ، وَأَطْعَمْتُهُ وَسَقَيْتُهُ ، وَأَشْرْتُ إِلَى كَوْمَةٍ مِنْ الْقَشِ ، لِيَتَّخِذَهَا فِرَاشًا لَهُ ؛ فَذَهَبَ لِيَنَامَ .

٦ - « جَمْعَةٌ »

وَهَلَكْنَا اتَّقَى زَمَنُ الزُّلَّةِ ، وَأَصْبَحَ لِي - مُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ -

(١) يُوَجِّه . (٢) صوت . (٣) قليلة . (٤) قد عل ركبتيه .

رَفِيقُ أَمِينٍ ، شُجَاعُ الْقَلْبِ ، فِي مُقْتَبَلِ شَبَابِهِ : لَمْ تَكُنْ سِنُهُ
تَزِيدُ عَلَى خَمْسَةِ وَعِشْرِينَ عَامًا . وَكَانَ هَذَا الْخَادِمُ مِثَالِ النَّشَاطِ
وَالذِّكَاةِ وَالْوَدَاعَةِ .

وَلَمْ يَنْمَ نِصْفَ سَاعَةٍ حَتَّى اسْتَيْقَظَ ، وَخَرَجَ مِنَ الْكَهْفِ
مُسْرِعًا ، إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى — وَكُنْتُ أَحْلَبُ عَنَّا — فَانْطَرَحَ عَلَى
قَدَمِي ، وَرَفَعَهَا فَوْقَ رَأْسِهِ ، لِيُفْهِمَنِي أَنَّهُ طَوَّعُ أَمْرِي وَرَهْنُ إِشَارَتِي .
فَهَشَشْتُ لَهُ وَأَقْبَلْتُ عَلَيْهِ حَتَّى رَكَنَ إِلَيَّ ، وَسُرِّيَ عَنْ نَفْسِهِ ^(١) ،
وَانْقَضَى مَا كَانَ يُسَاوِرُهُ ^(٢) مِنْ الْفَلَقِ .

ثُمَّ بَدَلْتُ جُهْدِي فِي تَعْلِيمِهِ لَعَنِي ، لِيَسْهَلَ عَلَيْنَا أَنْ تَتَفَاهَمَ مَعًا .
وَقَدْ سَمَّيْتُهُ « جُمُعَةً » ؛ لِأَنِّي أَقَدَّذْتُهُ مِنَ الْهَلَاكِ فِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ
الْجُمُعِ ، وَهُوَ أَوَّلُ يَوْمٍ عَرَفْتُهُ فِيهِ . ثُمَّ أَشَرْتُ إِلَيْهِ أَنْ يُسَمِّيَنِي
« السَّيِّدَ » ، وَعَلَّمْتُهُ لَفْظَتِي : « نَعَمْ » وَ « لَا » . ثُمَّ قَدَّمْتُ لَهُ جِرَّةً ،
وَمَلَأْتُ الْجِرَّةَ لَبَنًا ، وَغَمَسْتُ فِيهَا قِطْعَةً مِنَ الْخُبْزِ وَأَكَلْتُ .
وَأَشَرْتُ إِلَيْهِ أَنْ يَأْكُلَ مِثْلِي ؛ فَلَمْ يَتَرَدَّدْ فِي تَقْلِيدِي فِيمَا رَأَى مِنِّي .

(١) ذُهِبَ عَنْهُ . (٢) يَشْغَلُهُ .

وَقَدْ اسْتَسَاغَ هَذَا الطَّعَامَ^(١) ، وَبَدَأَ عَلَى وَجْهِهِ السُّرُورُ . ثُمَّ صَنَعَتْ لَهُ
نِيَابًا كَثِيرًا ، وَقَلَنْسُوءَةً مِنْ جِلْدِ أَرْزَبٍ . وَصَنَعَتْ لَهُ - فِي الْيَوْمِ
التَّالِي - كُوْخًا



بِالْقُرْبِ مِنْ كَهْفِي
لِيَنَامَ فِيهِ ؛ لِأَنِّي
كُنْتُ أَخْشَى أَنْ
تُعَاوِدَهُ^(٢) وَخَشِيتُهُ ،
فَيَفْتِكَ بِي - فِي
أَثْنَاءِ نَوْمِي -
وَيَأْكُلَنِي .

عَلَى أَنْ الْآيَّامَ
أَقْنَعْتَنِي - بِمَدِّ
ذَلِكَ - بِإِخْلَاصِهِ ؛

فَلَمْ أَرِنِي فِي حَاجَةٍ إِلَى الْحَذَرِ مِنْهُ . وَقَدْ وَفَى لِي^(٣) وَفَاءَ الْوَلَدِ لِأَبِيهِ ،

(١) وجده لذيذاً . (٢) ترجع إليه . (٣) حافظ على .

وَكَانَ مُسْتَعِيدًا لِبَذْلِ رُوحِهِ فِدَاءً لِي . وَمَرَّتْ بِنَا الْيَّامُ سَعِيدَةً وَادِعَةً ^(١) .

وَكَُنْتُ - فِي ذَاتِ يَوْمٍ - سَائِرًا مَعَ « جُمُعَةٍ » فِي أَحَدِ الْأَخْرَاجِ ،
فَاطْلَقْتُ رَصَاصَةً عَلَى أَحَدِ الْجِدَاءِ ؛ فَصَرَغْتُ ^(٢) . وَمَا رَأَيْتُ صَرَغْتُ

الْجَدَى - وَأَنَا عَلَى مَسَافَةٍ

بَعِيدَةٍ مِنْهُ - حَتَّى اشْتَدَّ

ذُعْرُهُ ، وَانْتَضَمَهُ الرُّعَاشُ

مِمَّا رَأَى وَسَمِعَ . فَقَدْ

أَذْهَلَهُ صَوْتُ الرَّصَاصَةِ ،

وظَلَّ يَبْحَثُ فِي ثِيَابِهِ ،

وَهُوَ يَخْشَى أَنْ تَكُونَ

قَدْ أَصَابَتْهُ مِنْ حَيْثُ لَا

يَشْعُرُ . فَلَمَّا أَيَقَنَ أَنَّهُ لَمْ

يُصِيبَهُ أَقْلُ ضَرَرٍ ، انْطَرَحَ عَلَى قَدَمِي ضَارِعًا ^(٣) أَلَّا أَقْتُلَهُ .

فَعَلَّمَانِي - مَرَّةً أُخْرَى - وَلَا طَفُئَتْهُ ، وَأَشْرَفْتُ إِلَيْهِ أَنْ



(١) هادئة . (٢) قتلته . (٣) راجعاً .

يَذْهَبَ لِيُخْضِرَ الْجَدَى . ثُمَّ أَرَيْتُهُ بُنْدُقِيَّتِي ، وَصَوَّبْتُهَا إِلَى يَبْغَاءَ
جَائِمَةٍ^(١) عَلَى شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ ، وَأَخْبَرْتُهُ أَنِّي أُرِيدُ صَيْدَ تِلْكَ الْبَيْغَاءِ .
وَمَا أَطْلَقْتُ عَلَيْهَا الرِّصَامَةَ حَتَّى أَشْتَدَّ دُغْرُهُ ، وَعَجِبَ مِمَّا فَعَلْتُ أَشَدَّ
الْعَجَبِ ، وَتَمَلَّكَتُهُ الْحَيْرَةُ ؛ وَأَصْبَحَ يَزِيدُ خَوْفًا كُلَّمَا رَأَى تِلْكَ الْبُنْدُقِيَّةَ .
وَكَانَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ يُكَلِّمُهَا مُسْتَعِطًا ، ضَارِعًا إِلَيْهَا أَنْ تُبْقِيَ عَلَى حَيَاتِهِ ،
وَأَلَّا تَصْرَعَهُ كَمَا صَرَعَتْ غَيْرَهُ مِنْ قَبْلُ ! وَلَمَّا جَاءَ الْمَسَاءُ سَلَخْتُ الْجَدَى ،
وَشَوَيْتُهُ ، وَأَطْعَمْتُ « جُمَّعَةً » مِنْ لَحْمِهِ ؛ فَاسْتَمْرَأَهُ^(٢) . وَأَصْبَحَ
— مُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ — يَمَافُ^(٣) اللَّهُمَّ الْبَشَرِيَّ ، وَلَا يَسْتَسِيغُهُ طَعَامًا .

٧ — نَشَاطُ « جُمَّعَةٍ »

وَفِي الْأَيَّامِ التَّالِيَةِ دَرَّبْتُ « جُمَّعَةً » عَلَى الْحَرْثِ وَالْبَذْرِ ، وَوَضَعْتُ
الشَّعِيرَ فِي السَّلَالِ ، وَطَخَنْتُهُ وَعَجَّنْتُهُ وَخَبَزْتُهُ . وَلَمْ يَمُضِ عَلَيْهِ زَمَنٌ يَسِيرٌ
حَتَّى أَكْسَبَتْهُ الْمَرَانَةُ قُدْرَةً نَادِرَةً عَلَى مُنْعِ كُلِّ شَيْءٍ دَرَّبَتْهُ عَلَيْهِ .
وَأَصْبَحَ لِي خَيْرَ مِعْوَانٍ ، بِفَضْلِ مَا وَهَبَهُ اللَّهُ مِنْ الْأَدَّكَاءِ وَالنَّشَاطِ

(١) قَاعِدَةٌ . (٢) اسْتَمْرَأَهُ . (٣) يَكْرَهُ .

وَالْإِخْلَاصِ . وَشَعَرْتُ بِالسَّعَادَةِ تَعَمُّرِي (١) ، مُنْذُ وَجَدْتُ ذَلِكَ الْمُعِينَ
 الذِّكْرِيَّ . وَقَدْ أَصْبَحَ يُخْلِصُ لِي بِمِقْدَارِ مَا أُخْلِصُ لَهُ ؛ وَتَوَثَّقْتُ
 أَوَاصِرُ الْمَحَبَّةِ بَيْنَنَا ، وَعَرَفَ أَسْمَاءَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي نَحْتَاجُ إِلَيْهَا ، وَحَدَّقَ
 تَخْطِيطَ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ وَمَسَالِكَهَا ؛ فَأَرَاخَنِي مِنَ الْعَنَاءِ ، وَوَفَّرَ لِي
 أَسْبَابَ الرِّاحَةِ ، وَكَانَ لِي نِعَمٌ الْإِنْسُ .

٨ - وَطَنُ « جُمُعَة »

وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ جَرْنَا الْحَدِيثَ إِلَى الْكَلَامِ عَنِ الْوَطَنِ ؛ فَسَأَلْتُهُ
 عَنْ طَرِيقِ الْوُصُولِ إِلَى وَطَنِهِ ، وَهَلْ يَأْمَنُ رَاكِبُ الْبَحْرِ عَلَى نَفْسِهِ
 فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ الطَّرِيقِ ؟ فَأَثْبَتَ أَنَّ الْوُصُولَ إِلَى وَطَنِهِ أَمْرٌ مَيْسُورٌ .
 وَظَلَّ يُحَدِّثُنِي عَنْ وَطَنِهِ أَحَادِيثَ الْمُنْجَبِ الْمَفْتُونِ بِهِ . وَقَدْ أَخْبَرَنِي
 أَنَّ فِي الْجَهَةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْ بِلَادِهِمْ قَوْمًا بِيضَ الْوُجُوهِ ؛ فَأَدْرَكْتُ أَنَّهُ
 يَمْنَى بِذَلِكَ قَوْمًا مِنَ الْإِسْبَانِيِّينَ ، وَأَنَّ طَرِيقَ الذَّهَابِ إِلَيْهِمْ مَيْسُورٌ
 مَأْمُونٌ . فَأَفْتَحَ أَمَامِي بَابَ الْأَمَلِ عَلَى مِصْرَاعَيْهِ ، وَتَبَيَّنْتُ أَنَّ خَلَاصِي
 مِنْ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ قَرِيبٌ . وَعَقَدْتُ الزَّمَمَ عَلَى إِعْدَادِ الْمَعْدَّاتِ لِلْسَّفَرِ

(١) تَمَلَّأْتُ نَفْسِي .

إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ ، حَيْثُ أَجِدُ الْوَسَائِلَ مُهَيَّاةً لِلرُّجُوعِ إِلَى وَطَنِي .



ثُمَّ حَدَّثَنِي أَنَّ زَوْزَقًا كَبِيرًا
قَدْ أَتَقَلَّبَ بِرَأْيِهِ - مِنْذُ
أَعْوامٍ - وَكَانُوا سَبْعَةَ عَشَرَ
رَجُلًا مِنَ الْبَيْضِ أَمْثَالِي ، وَقَدْ
نَجَّوْا مِنَ الْفَرَقِ ، وَأَقَامُوا
- وَمَا زَالُوا يُقِيمُونَ - بَيْنَ
عَشِيرَتِهِ وَقَوْمِهِ .

فَسَأَلْتُهُ : « وَكَيْفَ سَلِمُوا
مِنْ عَشِيرَتِكَ وَقَوْمِكَ ؟
أَلَمْ يَأْكُلُوهُمْ ؟ »
فَقَالَ لِي مُتَبَيِّنًا :

« بَلْ أَصْبَحُوا إِخْوَةً لَنَا ؛ فَإِنَّ بَنِي وَطَنِي لَا يَأْكُلُونَ إِلَّا أَسْرَاحَهُمْ
فِي الْحَرْبِ : أَمَّا الْأَصْدِقَاءُ الْمُسَالِمُونَ فَلَا يَتَأَلَّوْنَهُمْ بِسُوءٍ . »

٩ - ذِكْرِيَاتُ الْوَطَنِ

وَمَضَى عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ زَمَنٌ طَوِيلٌ . ثُمَّ أُرْتَقَيْنَا^(١) - ذاتَ
يَوْمٍ - قِمَّةَ جَبَلٍ شَاهِقٍ^(٢) ، وَكَانَ الْجَوُّ صَحْوًا ؛ فَلَا حَتَّ^(٣) الْقَارَةَ
الْبَعِيدَةَ . وَمَا أَنْعَمَ « جُمُعَةٌ » نَظَرُهُ مُتَبَيِّنًا مِنْ رُؤْيَا وَطَنِهِ حَتَّى غَلَبَهُ
السُّرُورُ عَلَى أَمْرِهِ ؛ فَظَلَّ يَقْفِزُ مِنَ الْفَرَجِ ، وَيَصِيحُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ :
« وَافْرَحْتَاهُ ! وَاطْرَبَاهُ ! هَآنَذَا أَرَى بِلَادِي ! هَآنَذَا أَرَى وَطَنِي ! »
وَأُمْتَلَأَ وَجْهُهُ بِشَرًّا وَسُرُورًا ، وَارْتَسَمَتْ عَلَى أَسَارِيرِهِ^(٤) دَلَائِلُ
الْحَيْنِ وَالشَّوْقِ إِلَى وَطَنِهِ ، فَسَأَلَتْهُ :
« أَتُحِبُّ أَنْ تَعُودَ إِلَى بِلَادِكَ ؟ »
فَأَجَابَنِي ، وَهُوَ يَتَحَرَّقُ شَوْقًا :
« لَيْتَ هَذِهِ الْأُمْنِيَّةُ تَتَحَقَّقُ ، يَا سَيِّدِي ! »
فَقُلْتُ لَهُ :

« وَمَاذَا تَصْنَعُ فِي بِلَادِكَ ؟ أَتُحِبُّ أَنْ تَعُودَ إِلَى وَحْشِيَّتِكَ ، وَتَرْتَدَّ

(١) صعدنا . (٢) عال . (٣) ظهرت . (٤) خطوط جبينه .

إِلَى طَبِيعَتِكَ الْأُولَى ، فَتُصْبِحَ غُولًا تَأْكُلُ اللَّحْمَ الْبَشَرِيَّ ؟ »
فَقَالَ لِي ، فِي غَيْرِ تَرَدُّدٍ :

« كَلَّا ، كَلَّا . . . فَإِنَّ « جُمُعَةَ » لَنْ يَمُودَ غُولًا كَمَا كَانَ ! وَسَوْفَ
يُقْصُ عَلَى قَوْمِهِ كَيْفَ أَصْبَحَ يَسْتَمْرِي الْجُبْنَ وَاللَّبَنَ وَلَحْمَ الْأَغْنَامِ ،
وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنْ لَذَائِدِ الطَّعَامِ . أَمَّا لَحْمُ الْإِنْسَانِ فَقَدْ أَصْبَحَ « جُمُعَةُ »
يَعَافُهُ وَلَا يُطِيقُ أَنْ يُفَكَّرَ فِي اتِّخَاذِهِ طَعَامًا لَهُ . »
فَقُلْتُ لَهُ : « لَوْ عَرَفُوا مِنْكَ ذَلِكَ لَأَكَلُوكَ ! »

فَقَالَ لِي : « كَلَّا ، لَا يَأْكُلُونَنِي ، بَلْ يَتَعَلَّمُونَ مِنِّي كَيْفَ يُنْظَمُونَ
حَيَاتَهُمْ ، وَكَيْفَ يَسْتَسِيخُونُ أَطِيبَ الْأَطِمَةِ . »
فَسَأَلْتُهُ : « أَتُحِبُّ أَنْ تَعُودَ إِلَى بِلَادِكَ الْآنَ ؟ »
فَقَالَ لِي مُبْتَسِمًا :

« لَيْسَ فِي قُدْرَتِي أَنْ أَقْطَعَ هَذِهِ الْمَسَافَةَ الطَّوِيلَةَ سِبَاحَةً . »
فَوَعَدْتُهُ بِإِعْدَادِ زَوْرَقٍ يُوصِّلُهُ إِلَى وَطَنِهِ ؛ فَقَالَ لِي : « حَبَّذَا ذَلِكَ
لَوْ تَمَّ ، عَلَى أَنْ أَكُونَ رَفِيقَكَ فِي هَذِهِ الرِّحْلَةِ . وَسَتَرَى كَيْفَ يَفْرُكُ
أَهْلُ وَطَنِي بِالْحُبِّ ، وَلَنْ يُفَكِّرَ أَحَدٌ فِي أَنْ يَأْكَلَكَ ، وَلَا سِيَّما

إِذَا أَحْبَبْتَهُمْ بِأَنَّكَ أَتَقَدَّتْ حَيَاتِي مِنَ الْهَلَاكِ .
 وَمَا زَالَ يُحِبُّ إِلَى الذَّهَابِ مَعَهُ إِلَى وَطَنِهِ ، وَيَقْصُ عَلَى كَيْفِ
 أَكْرَمُوا جَمَاعَةَ الْبَيْضِ الَّذِينَ وَصَلُوا إِلَيْهِمْ مِنْ زَمَنِ طَوِيلٍ ، وَكَيْفِ
 أَنْسُوا بِهِمْ ، وَأَرْتَلَحُوا إِلَى عِشْرَتِهِمْ ؛ حَتَّى أَجْمَعْتُ أَمْرِي ^(١) وَتَأَهَّبْتُ
 لِهَذِهِ الرِّحْلَةِ ؛ لَعَلِّي أَتَمَكَّنُ مِنَ الْمَوَدَّةِ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى وَطَنِي .

١٠ - الْمَرْكَبُ الشَّرَاعِيُّ

وَأَشْتَدَّتْ رَغْبَتِي فِي تَحْقِيقِ هَذَا الْعِلْمِ الْجَمِيلِ ، فَذَهَبْتُ مَعَ
 « جُمُعَةٍ » إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي وَضَعْتُ فِيهِ زَوْرَقِي ، ثُمَّ رَكِبْنَاهُ مَعًا ؛
 فَرَأَيْتُ « جُمُعَةً » أَمَّهَرَ مِنِّي وَأَقْدَرَ عَلَى مُتَابَعَةِ السَّيْرِ وَمُضَاعَفَةِ السَّرْعَةِ .
 فَقُلْتُ لَهُ : « أَفِي اسْتَطَاعَتِكَ الْآنَ أَنْ تَذْهَبَ إِلَى وَطَنِكَ ؟ »
 فَقَالَ : « لَنْ يَحْتَمِلَ هَذَا الزَّوْرَقُ الصَّغِيرُ تِلْكَ الرِّحْلَةَ الطَّوِيلَةَ . »
 فَقُلْتُ لَهُ : « عَلَيْنَا أَنْ نَعِدَّ زَوْرَقًا أَكْبَرَ مِنْهُ لِتَرْكَبَهُ إِلَى وَطَنِكَ . »
 فَأَطْرَقَ بِرَأْسِهِ إِلَى الْأَرْضِ ، وَقَالَ لِي مُتَأَلِّمًا مَحْزُونًا :

« مَا الَّذِي أَغْضَبَ سَيِّدِي عَلَيَّ ؟ وَمَا بَالُ سَيِّدِي يُحَاوِلُ أَنْ يُقْصِيَ ^(١)
عَنْهُ خَادِمَهُ جُمُعَةً ؟ »

فَقُلْتُ لَهُ : « أَلَا تَتَمَنَّى أَنْ تَعُودَ إِلَى وَطَنِكَ ؟ »

فَقَالَ : « نَعَمْ ، نَعَمْ ، أَتَمَنَّى ذَلِكَ مِنْ صَمِيمِ قَلْبِي ، عَلَى أَنْ أَكُونَ
رَفِيقَكَ فِي الْعَوْدَةِ إِلَى بِلَادِي . أَمَّا أَنْ أَتْرُكَ صُحْبَتَكَ وَأَعُودَ وَخْدِي ،
فَلَا سَبِيلَ إِلَى ذَلِكَ . فَلَيْسَ فِي قُدْرَتِي أَنْ أَحْتَمِلَ فِرَاقَكَ بَعْدَ أَنْ أُمْتَلَأَ
قَلْبِي بِحُبِّكَ ، أَيُّهَا السَّيِّدُ الْكَرِيمُ ، الَّذِي عَمَّرَنِي بِعَطْفِهِ ، وَطَوَّقَ
عُنُقِي بِصَنَائِعِهِ ^(٢) . » فَتَظَاهَرْتُ بِالْإِصْرَارِ ^(٣) لِأَخْتِبَرُ مَدَى حُبِّهِ إِيَّايَ .

فَلَمَّا رَأَى جَادًّا فِي رَفْضِي ، غَابَ عَنِّي قَلِيلًا ، ثُمَّ عَادَ إِلَيَّ وَفِي يَدِهِ
قَدُومٌ ، وَقَالَ لِي ، وَقَدْ تَمَلَّكَهُ الْيَأْسُ وَالْحُزْنُ :

« بِرَبِّكَ أَقْتُلْنِي بِهِذِهِ الْقَدُومُ ، وَأَرْحِنِي مِنَ الْحَيَاةِ ، مَا دُمْتُ مُصِرًّا
عَلَى إِرْسَالِ « جُمُعَةٍ » إِلَى قَوْمِي ! »

فَلَمْ أُتَرَدَّدْ فِي إِنْطِهَارِ مُوَافَقَتِي عَلَى السَّفَرِ مَعَهُ ، بَعْدَ أَنْ بَلَوْتُ
إِخْلَاصَهُ ^(٤) ، وَعَرَفْتُ مَدَى حُبِّهِ إِيَّايَ . وَوَعَدْتُهُ بِتَحْقِيقِ أَمْنِيَّتِهِ فِي

(١) يَعْنِي بِذَلِكَ الْعَمَلَةَ الْجَمْعَةَ . (٢) الْعَزْمُ وَالْجَبَاتُ . (٣) عَزَمْتُ .

مُراقبته إلى وطنه . ولم نُضِعْ وقتنا عبثاً ، بَعْدَ أَنْ عَزَمْنَا عَلَى الْقِيَامِ
 بِهَذِهِ الرِّحْلَةِ الطَّوِيلَةِ ؛ فَذَهَبْنَا إِلَى شَجَرَةٍ عَظِيمَةٍ فَقَطَعْنَاهَا . وَمَا زِلْنَا
 دَابِّينَ^(١) فِي الْعَمَلِ حَتَّى صَنَعْنَا زَوْزَقًا كَبِيرًا فِي خِلَالِ شَهْرِ كَامِلٍ .
 وَبَعْدَ خَمْسَةِ عَشَرَ يَوْمًا ، أَسْتَطَعْنَا أَنْ نُنْزِلَ الزَّوْزَقَ فِي الْبَحْرِ . وَقَدْ
 تَكَبَّدْنَا^(٢) فِي سَبِيلِ ذَلِكَ عَنَاءٌ لَا يُوصَفُ . وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا شَهْرَانِ بَعْدَ
 هَذَا ، حَتَّى أَتَمَعْنَا صُنْعَ الشَّرَاجِ وَالسَّارِيَةِ ، كَمَا أَنْجَزْنَا صُنْعَ السُّكَّانِ^(٣)
 وَقَدْ بَدَلْتُ الْجُهْدَ فِي تَدْرِيبِ « جُمُعَةٍ » عَلَى تَسْيِيرِ هَذَا الْمَرْكَبِ
 الشَّرَاعِيِّ حَتَّى حَذَقَهُ وَأَتَقَنَهُ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ بِمِثْلِ هَذَا الْمَرْكَبِ الشَّرَاعِيِّ
 عَهْدٌ ، وَلَمْ يَرَ لَهُ شَيْهًا طَوَّلَ عُمرِهِ ؛ فَقَدْ كَانَ قَوْمُهُ لَا يَعْرِفُونَ إِلَّا
 الْجَذْفَ وَحَدَهُ ؛ أَمَّا اسْتِخْدَامُ الشَّرَاجِ وَالسُّكَّانِ ، فَذَلِكَ مَا لَمْ يَأْلُفُوهُ ،
 وَلَمْ يَسْمَعُوا بِهِ . وَقَدْ أَكْسَبَتْهُ الْمَرَانَةُ قُدْرَةً عَجِيبَةً عَلَى تَسْيِيرِ مَرْكَبِنَا
 الشَّرَاعِيِّ ، وَأَصْبَحَ — بَعْدَ قَلِيلٍ مِنَ الزَّمَنِ — رُبَّانًا^(٤) مَاهِرًا .

وَهَكَذَا تَمَّ لَنَا إِعْدَادُ الْمُدَّةِ لِلسَّفَرِ إِلَى وَطَنِ « جُمُعَةٍ » ، وَلَمْ
 يُعَوِّزْنَا^(٥) شَيْءٌ مِنَ الْمَعْدَّاتِ .

(١) مواجِبِينَ . (٢) تَاسِينَا . (٣) الْبَلَّةُ . (٤) قَائِدَ سَفِينَةٍ . (٥) لَمْ يَنْقُصْنَا .

١١ - حَرْبُ الْأَعْدَاءِ

وَمَضَتْ عَلَى ثَلَاثِ سَنَوَاتٍ بَعْدَ ذَلِكَ . وَقَدْ أَصْبَحَتِ الْجَزِيرَةُ
- جِينْتِ - جَنَّةً نَضْرَةً^(١) ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مَتْنَى مُوحِشًا . فَقَدْ آلَسَتِ
« جُمُعَةٌ » بَعْدَ وَحْشَةٍ ، وَتَغَلَّبَ إِخْلَامُهُ وَحُبُّهُ عَلَى كُلِّ عَقَبَةٍ اغْتَرَضْنَا
فِي حَيَاتِنَا .

وَجَاءَ الْعَامُ السَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ ، وَأَنَا أَتَرَقَّبُ الْخَلَاصَ مِنْ هَذِهِ
الْجَزِيرَةِ . فَلَمَّا أَقْبَلَ الشِّتَاءُ ، وَضَعْنَا الزَّوْرَقَ فِي مَكَانٍ أَمِينٍ ، حَتَّى
أَتَقَفَى « نُوقَمِيرُ » وَ « دِيسْمِرُ » . ثُمَّ أَخَذْنَا نُهَيُّ الْأَسْبَابَ ،
وَنَسْتَكْمِلُ مُعَدَّاتِ السَّفَرِ إِلَى وَطَنِ « جُمُعَةٍ » .

وإِنَّا لَجَادَّانِ - فِي صَبَاحِ يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ ، وَقَدْ خَرَجَ « جُمُعَةُ »
لِصَيْدِ السَّلَاحِ كَمَا ذَكَرْتُهُ - إِذْ مَادَّ إِلَى مُسْرِعًا ، وَهُوَ يَرْتَجِفُ مِنْ شِدَّةِ
الدُّغْرِ ، وَيَصِيحُ خَائِفًا : « يَا لَهْوَلِ ، يَا سَيْدِي ! »

فَسَأَلْتُهُ : « أَيُّ هَوَلٍ تَعْنِي ؟ »

فَقَالَ : « ثَلَاثَةُ زَوَارِقَ تَذْئُلُونَا إِلَيْنَا ، قَادِمَةٌ عَلَيْنَا . »

(١) جيلة خضراء .

فَظَلَّتْ أَطْمِئِنَّهُ وَأَسْرَى عَنْ نَفْسِهِ ، وَهُوَ لَا يَكَادُ يُصْنِي لِمَا أَقُولُ ؛
فَقَدْ كَانَ مُوقِنًا أَنَّ أَعْدَاءَهُ لَمْ يَمُودُوا إِلَى الْجَزِيرَةِ إِلَّا لِيَبْتَغُوا عَنْهُ ، وَيَمَزُقُوا
جِسْمَهُ ، وَيَشْوُوهُ عَلَى

النَّارِ



فَقُلْتُ لَهُ : « تَشَجَّعْ
يَا « جُمُعَةُ » ؛ فَلَئِنْ
يُفِيدَكَ الْجَزَعُ شَيْئًا ،
وَلَنْ يُبْقِيَ الْأَعْدَاءُ عَلَى
أَحَدٍ مِنَّا إِذَا ظَفَرُوا
بِهِ . وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا

أَنْ نُوْطِنَ نَفْسَيْنَا^(١) عَلَى قِتَالِهِمْ . وَسَأَبْدُلُ نَفْسِي مِنْ أَجْلِكَ ، فَلَا تُخَالِفْ لِي
أَمْرًا . وَسَتَرَى كَيْفَ نَخْصِدُهُمْ^(٢) بِرِصَاصِنَا حَصْدًا . »

وَمَا زِلْتُ بِهِ حَتَّى أَعَدْتُ إِلَيْهِ شَجَاعَتَهُ ؛ فَبَقِيَ عَزْمُهُ عَلَى أَنْ يَسْتَبْسِلَ^(٣)
فِي قِتَالِهِمْ ، حَتَّى تَنْتَصِرَ عَلَيْهِمْ أَوْ نَمُوتَ كَرِيمَيْنِ .

(١) لِقَوِيهِمَا . (٢) نَهْلِكُهُمْ . (٣) يَمْرُضُ نَفْسَهُ لِلْمَوْتِ

وَتَأْهَبْنَا لِمُحَارَبَتِهِمْ ، فَارْتَقَيْتُ قِمَّةَ الْجَبَلِ ؛ فَرَأَيْتُ — مِنْ خِلَالِ
مِنْظَارِي — وَاحِدًا وَعِشْرِينَ رَجُلًا جَالِسِينَ حَوْلَ النَّارِ . فَتَزَلْتُ إِلَى
سَفْحِ الْجَبَلِ ^(١) ، وَأَرْسَلْتُ « جُمُعَةً » لِيَتَعَرَّفَ مَا يَصْنَعُونَهُ ؛ فَعَادَ
إِلَيَّ — بَعْدَ قَلِيلٍ — وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُمْ يَشُورُونَ أَحَدَ الْأُمَرَى عَلَى النَّارِ



لِيَأْكُلُوا لَحْمَهُ . فَذَهَبْتُ إِلَى النَّابَةِ وَمَعِيَ « جُمُعَةٌ » ، وَاخْتَفَيْنَا بَيْنَ
أَشْجَارِهَا الْكثِيفَةِ ، حَتَّى أَصْبَحْنَا عَلَى مَسَافَةِ قَرِيبَةٍ مِنَ الْأَعْدَاءِ ؛

فَرَأَيْنَا رَجُلًا أَيْبَضَ الْوَجْهَ ، مُلْتَحِيًا ، مَشْدُودَ الْوَتَاقِ ، مَطْرُوحًا عَلَى ارْمَلٍ
 فَصَبَرْتُ عَلَيْهِمْ ، حَتَّى إِذَا شَرَعُوا فِي حَلٍّ وَثَاقِهِ ، أَمَرْتُ « جُمُعَةً »
 أَنْ يُطْلِقَ الرِّصَاصَ مَعِيَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ . وَكَانَتْ مُفَاجَأَةً عَجِيبَةً ؛
 فَقَدْ قَتَلَ « جُمُعَةٌ » - وَخَدَهُ - اثْنَيْنِ مِنْهُمْ وَجَرَحَ ثَلَاثَةً ،
 وَقَتَلْتُ رَجُلًا وَاحِدًا وَجَرَحْتُ اثْنَيْنِ



وَمَا سَمِعَ الْأَعْدَاءَ
 دَوَى الرِّصَاصِ ، وَرَأَوْا
 مَا حَلَّ بِأَصْحَابِهِمْ مِنْ
 الْهَلَاكِ وَالْأَذَى ، حَتَّى
 تَمَلَّكَهُمْ الْخَوْفُ ،
 وَاسْتَخَوَذَ عَلَيْهِمْ

الدُّعْرُ ؛ فَلَاذُوا بِالْفِرَارِ ^(١) ، وَهُمْ لَا يَكَادُونَ يُصَدِّقُونَ بِالنَّجَاةِ . وَرَكِبُوا
 زَوْرَقَيْنِ لِيَهْرُبُوا إِلَى بِلَادِهِمْ مِنْ هَذِهِ الصَّوَاعِقِ الَّتِي لَمْ يَرَوْا لَهَا ،
 فِي حَيَاتِهِمْ ، مَثِيلًا . فَاقْتَرَبْتُ مِنَ الرَّجُلِ الْأَيْبَضِ وَحَيَّيْتُهُ ؛ فَوَجَدْتُهُ

(١) لجأوا إلى الهرب .

أَقْرَبَ إِلَى الْمَوْتِ مِنْهُ إِلَى الْحَيَاةِ . فَكَكْتُ وَثَاقَهُ ، وَسَقَيْتُهُ وَأَطْعَمْتُهُ ،
 حَتَّى عَادَ إِلَيْهِ رُشْدُهُ ، وَأَفَاقَ مِنْ إِغْمَاءَتِهِ ؛ فَشَكَرَ لِي صَنِيعِي أَحْسَنَ
 الشُّكْرِ . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ إِسْبَانِي الْأَصْلِ ، وَأَنَّ سُوءَ حَظِّهِ أَوْقَعَهُ
 أُسِيرًا فِي تِلْكَ الْبِلَادِ .

١٢ - أَبُو « جُنْمَةَ »

وَرَأَى « جُنْمَةُ » زَوْرَقًا تَرَكَهُ الْأَعْدَاءُ ؛ فَاقْتَرَحَ عَلَيَّ أَنْ نَرْكَبَهُ
 لِنُطَارِدَهُمْ وَنَمْلَأَ قُلُوبَهُمْ رُعْيًا وَهَلَمَّا . فَأَعْجَبَنِي اقْتِرَاحُهُ ، وَمَا وَصَلْنَا إِلَى
 الزَّوْرَقِ ، حَتَّى رَأَيْنَا فِيهِ أُسِيرًا ثَالِثًا . فَكَكْتُ وَثَاقَهُ ، وَحَاوَلْتُ أَنْ
 أَنْهَضَهُ عَلَى قَدَمَيْهِ ؛ فَوَجَدْتُهُ لَا يَتَمَسَّكُ ، مِنْ شِدَّةِ الضَّعْفِ وَالْخَوْفِ .



وَلَمْ يَرَ « جُنْمَةُ » هَذَا
 الْأُسِيرَ حَتَّى ارْتَمَى عَلَيْهِ
 مُقْبِلُهُ وَيُمَانِقُهُ ، وَقَدْ أَذْهَلَهُ
 الْفَرَسُ حَتَّى كَادَ يُسَلِّمُهُ إِلَى
 الْجُنُونِ . فَظَلَّ يَبْكِي
 وَيَضْحَكُ وَيَقْفِزُ وَيَرْقُصُ

وَيَفْرُكُ يَدَيْهِ ، وَيَمَضُ أُنَامِلَهُ ، وَيَلْطِمُ وَجْهَهُ ، وَيُنْفِئُ ، وَأَنَا أُحَاوِلُ أَنْ



أَسْتَوْضِحُهُ سِرَّ هَذَا
الْخَبَالِ^(١) ، وَهُوَ لَا
يُصْنَعِي إِلَيَّ . ثُمَّ هَذَا
قَلِيلًا ، وَالتَفَتَ إِلَيَّ
قَائِلًا : « إِعْلَمَنَّ أَنَّ هَذَا
الْأَسِيرَ هُوَ أَبِي . وَقَدْ
أَثَقَدَهُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْكَ .

فَكَيْفَ لَا يَتَمَلَّكُنِي الْفَرَحُ وَالطَّرَبُ ! »

فَتَرَكَتُهُ فِي فَرَجِهِ ، وَأَعْجِبْتُ بِهَذَا الْحُبِّ الْبَنَوِيِّ . وَقَدْ أَقْبَلَ
« جُمُعَةً » عَلَى أَبِيهِ يُدْفِنُهُ وَيَتَعَمَّدُهُ — فِي حُنُوِّ الْوَلَدِ الشَّفِيقِ الْبَارِّ —
وَيَفْرُكُ لَهُ سَاقَيْهِ اللَّتَيْنِ أَضَرَّ بِهِمَا الْوُثَاقُ ، وَيَسْقِيهِ تَارَةً ، وَيُطْعِمُهُ
تَارَةً أُخْرَى ، حَتَّى أَعَادَ إِلَيْهِ قُوَاهُ .

فَأَمَرْتُ « جُمُعَةً » أَنْ يُنْفِئَ^(٢) بِالرَّجُلِ الْإِسْبَانِيَّ — كَمَا عُنِيَ بِأَبِيهِ — فَلَمْ

(١) الجنون . (٢) ينجي .



يَتَرَدَّدُ فِي إِطَاعَةِ أَمْرِي .
 ثُمَّ حَمَلْنَا الْإِسْبَانِيَّ
 وَأَبَا « جُمُعَةَ » عَلَى لَوْحٍ
 مِنْ الْخَشَبِ ، لِنَجْزِيهِمَا
 عَنِ السَّيْرِ ، حَتَّى وَضَعْنَاهُمَا
 فِي خِيَمَةٍ أَقْمَنَاهَا

بِالْقُرْبِ مِنَ الْحِصْنِ ، وَأَعَدَدْنَا لِكُلِّ مِنْهُمَا فِرَاشًا مِنَ الْقَشِّ . وَكَانَ
 « جُمُعَةُ » خَيْرَ تَرْجُمَانٍ
 يَنْقُلُ لِي مَا يَقُولُهُ أَبُوهُ
 وَالْإِسْبَانِيُّ الَّذِي أَتَقَنَّ
 لُغَةَ أَعْدَائِهِ ، لِيُطَوِّلَ
 عِشْرَتَهُ وَإِقَامَتَهُ بَيْنَ
 ظَهْرَانِيهِمْ (١) .



ثُمَّ أَمَرْتُ « جُمُعَةَ » أَنْ يَدْفِنَ الْقَتْلَى ، حَتَّى لَا تَقْسُدَ جُثَّتُهُمْ ،
 فَتُعَدِّثَ رَائِحَتُهَا الْأَمْرَاضَ الْخَبِيثَةَ ؛ فَقَامَ بِهَذَا الْعَمَلِ خَيْرَ قِيَامٍ ،

١٣ - بَعْدَ فِرَارِ الْأَعْدَاءِ

وَقَضَيْنَا زَمَنَا طَوِيلًا ، وَنَحْنُ نَتَعَاوَنُ عَلَى زَرْعِ الْأَرْضِ ، وَتَوْفِيرِ أَسْبَابِ
الرَّاحَةِ وَالرِّخَاءِ ، وَيَأْتِنِسُ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ . وَسُرْعَانَ مَا تَمَّتِ الْأَلْفَةُ بَيْنَنَا
جَمِيعًا ، وَأَصْبَحْنَا أَصْفِيَاءَ مُتَعَابِينَ .

وَقَدْ سَأَلْتُ أَبَا « جُمَّة » ، ذَاتَ يَوْمٍ : « أَتُرَانَا ^(١) فِي خَطَرٍ مِنْ

فَارِقِ أَعْدَائِنَا ، مَرَّةً

أُخْرَى ؟ » فَقَالَ لِي ،

فِي لَهْجَةِ الْحَازِمِ -

الْمُسْتَيْقِنِ ^(٢) : « كَلَّا ،

لَا سَبِيلَ إِلَى عَوْدَتِهِمْ

بَعْدَ هَذِهِ النَّكْبَةِ .

وَمَا أَحْسَبُهُمْ قَدْ نَجَوْا مِنْ

الْعَاصِفَةِ الَّتِي هَبَّتْ عَلَيْهِمْ ، فِي أَثْنَاءِ فِرَارِهِمْ . وَلَوْ أَنَّهُمْ نَجَوْا مِنْهَا ،

لَمَا وَجَدُوا مِنَ الشَّجَاعَةِ مَا يَخْفِزُهُمْ ^(٣) إِلَى مُعَاوَدَةِ الْكُرَّةِ ؛



(١) أُنْصَبْنَا . (٢) الْمُتَبَيَّنُ . (٣) يَدْفَعُهُمْ .

فَقَدْ أَطَارَ دَوَى الرِّصَاصِ عُقُولَهُمْ . وَسَيَقُصُّونَ عَلَى أَهْلِهِمْ وَأَصْحَابِهِمْ
مَا رَأَوْهُ مِنَ الصَّوَاعِقِ وَالرُّعُودِ الَّتِي أَفْنَتَ جَمَاعَةً مِنْ رِفَاقِهِمْ . وَلَقَدْ
سَمِعْتُ بَعْضَهُمْ يَتَحَدَّثُ - فِي أَثْنَاءِ فِرَارِهِ - وَهُوَ مَذْهُوشٌ مِمَّا رَأَى ،
وَقَدْ مَلَأَتْهُ الْحَيْرَةُ وَالْمَجَبُّ ؛ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَهْتَدِيَ إِلَى تَعْلِيلٍ يُفَسِّرُ
بِهِ قُدْرَةَ أَعْدَائِهِ عَلَى قَذْفِهِمْ بِالصَّوَاعِقِ ، وَتَسْخِيرِ الرُّعُودِ وَالْفَلَكَ ^(١)
لِلْفَتَكِ بِمَنْ يُرِيدُونَ ، عَلَى مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ ، دُونَ عَنَاءٍ .

وَقَدْ صَدَقَ الشَّيْخُ فِي تَكْهِنِهِ وَحَدْسِهِ ^(٢) ؛ فَقَدْ عَلِمْتُ - فِيمَا بَعْدَ -
أَنَّ أَعْدَاءَنَا قَدْ أَذَاعُوا عَلَى بَنِي وَطَنِهِمْ - بَعْدَ أَنْ نَجَوْا مِنَ الْغَرَقِ -
أَنْبَاءَ الصَّوَاعِقِ الَّتِي أَمْطَرْنَاهَا عَلَيْهِمْ ؛ فَمَلَّتُوا قُلُوبَهُمْ رُغْبًا ، وَآيَقَنُوا
أَنَّ هَذِهِ الْجَزِيرَةَ مَلُوءَةٌ جِنًّا وَعَفَارِيَتَ ، فَلَمْ يَجْرُؤُوا عَلَى الدُّوْءِ مِنْهَا
بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ . عَلَى أَنَّي تَأَهَّبْتُ لِنِصَالِهِمْ ^(٣) ، وَتَرَقَّبْتُ عَوْدَتَهُمْ زَمَنًا
طَوِيلًا ، حَتَّى أَقْتَبَعْتُ بِأَنَّهُمْ يَنْسُوا مِنَ الْعَوْدَةِ . فَأَطْمَأْنَنْتُ نَفْسِي ،
وَأَنْصَرَفْتُ إِلَى التَّفَكِيرِ فِي الْعَوْدَةِ إِلَى وَطَنِي . وَمَرَّتْ بِنَا سِنُونَ عِدَّةٌ ،
وَنَحْنُ آمِنُونَ وَادِعُونَ فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ الْعَازِلَةِ ^(٤) . وَقَدْ سَهَّلَ عَلَيْنَا أَنْ

(١) استخدامهما وفهرهما . (٢) ظنه وتقديره . (٣) محاربتهم . (٤) البعيدة .

نُنَجِّزُ^(١) - مُتَعَاوِنِينَ - كُلَّ مَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ .

وَقَدْ عَلِمْتُ مِنَ الْإِسْبَانِيِّ أَنَّ عَدَدَ أَصْدِقَائِهِ - مِنَ الْإِسْبَانِيِّينَ
الَّذِينَ نَجَّوْا مِنَ الْغَرَقِ - يَبْلُغُ سِتَّةَ عَشَرَ ، وَلَدَيْهِمْ كَثِيرٌ مِنَ
الْبِنْدَقِيَّاتِ وَالْمُسَدَّسَاتِ ، وَلَيْسَ يُعَوِّزُهُمْ^(٢) إِلَّا الرِّصَاصُ وَالْبَارُودُ .
وَقَدْ حَاولُوا الْعُودَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ ؛ فَأَعْوَزَتْهُمْ الْمَعْدَّاتُ ، فَأَقَامُوا فِي
تِلْكَ الْبِلَادِ مُرْغَبِينَ^(٣) . فَسَأَلْتُهُ : « أَتُرَاهُمْ يَلْبُونَ^(٤) اقْتِرَاحِي ، إِذَا هَيَّأْتُ
لَهُمْ أَسْبَابَ السَّفَرِ ؟ »

فَقَالَ لِي : « لَيْسَ أَشْهَى إِلَيَّ مُقُوسِهِمْ مِنْ تَحْقِيقِ هَذِهِ الْأَمْنِيَّةِ . »
وَاقْتَرَحَ عَلَيَّ أَنْ يَذْهَبَ مَعِيَ أَبِي « جُمُعَةً » لِمُقَابَلَتِهِمْ ؛ فَأَذِنْتُ لَهُ
فِي ذَلِكَ ، بَعْدَ أَنْ أَقْسَمَ لِي : إِنَّهُ سَيَكُونُ - هُوَ وَرِفَاقُهُ - رَهْنًا
إِشَارَتِي ، وَسَيَأْخُذُ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ بِالْوَفَاءِ لِي ، قَبْلَ أَنْ يُخَضِّرَهُمْ إِلَى
جَزِيرَتِي . وَبَعْدَ زَمَنٍ قَلِيلٍ ، رَكِبَ الْإِسْبَانِيُّ وَالشَّيْخُ زَوْرَقَ الْأَعْدَاءِ
بَعْدَ أَنْ زَوَّدَهُمَا بِكُلِّ مَا يَحْتَاجَانِ إِلَيْهِ ، مِنْ طَعَامٍ وَسِلَاحٍ ، وَرَجَوْتُ
لَهُمَا سَفَرًا سَعِيدًا وَعُودًا حَمِيدًا .

(١) تم . (٢) لا ينقصهم . (٣) مكرمين . (٤) ينفلون .

الفصل الثامن

الْعَوْدَةُ إِلَى الْوَطَنِ

١ - الْمَفَاجَأُ

ظَلَلْتُ أَتَرَقَّبُ عَوْدَةَ الشَّيْخِ وَالْإِسْبَانِيِّ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ . ثُمَّ وَقَعَ لِي حَدِيثٌ لَمْ يَكُنْ لِيَخْطُرُ لِي عَلَى بَالٍ . فَقَدْ اسْتَيْقَظْتُ مِنْ نَوْمِي عَلَى صُرَاخٍ « جُمُعَةٌ » ، وَهُوَ يَصِيحُ وَيُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ .

« سَيِّدِي ! سَيِّدِي ! لَقَدْ اقْتَرَبُوا مِنَّا . »

فَارْتَدَيْتُ يَثَابِي - مِنْ فَوْرِي - وَأَسْرَعْتُ نَحْوَ الشَّاطِئِ .
وَأَجَلْتُ لِحَاظِي فِي عُرْضِ الْبَحْرِ ، فَرَأَيْتُ زَوْزَقًا شِرَاعِيًّا مُيَسَّمًا^(١)
جَزِيرَتَنَا ؛ وَهُوَ عَلَى بُعْدِ مِيلٍ وَنِصْفِ مِيلٍ مِنْهَا . فَأَمَرْتُ « جُمُعَةَ »
أَنْ يَتَرَيَّثَ^(٢) فِي الْأَمْرِ ، حَتَّى تَتَعَرَّفَ جَلِيَّتُهُ^(٣) . وَأَكْذْتُ لَهُ أَنْ
رَاكِبِي الزَّوْزَقِ لَيْسُوا أَصْحَابَنَا الَّذِينَ أَرْسَلْنَا أَبَاهُ وَالْإِسْبَانِيَّ لِإِخْضَارِهِمْ ،

(١) قاصداً . (٢) يتهملاً . (٣) حفيته .

وليسَ في قُدرَتِنَا أَنْ نَعْرِفَ : أَعْدَاءَ لَنَا أَمْ أَصْدِقَاءَ ؟

ثُمَّ أَرْتَقَيْتُ^(١) قِمَّةَ الْجَبَلِ ، وَرَأَيْتُ - مِنْ خِلَالِ مِنْظَارِي -
سَفِينَةً وَاقِفَةً عَلَى مَسَافَةِ مِيلَيْنِ وَنِصْفِ مِيلٍ تَقْرِيبًا . وَقَدْ عَرَفْتُ
- مِنْ أَسْلُوبِ بِنَائِهَا - أَنَّهَا سَفِينَةٌ مِنْ سَفُنِ بِلَادِنَا ؛ فَأَيَقَنْتُ أَنَّ
خَلَاصِي مِنَ الْأَسْرِ قَرِيبٌ ، وَفَاضَ قَلْبِي بِشَرًّا وَسُرُورًا . وَلَسَكُنِّي
شَعَرْتُ - فِي نَفْسِي - بِشَيْءٍ مِنَ الْإِنْقِبَاضِ يُنْغِصُ عَلَى هَذَا الْفَرَحِ .
فَقَدْ تَوَجَّسْتُ^(٢) شَرًّا ؛ لِأَنَّنِي لَمْ أُسْتَطِعْ أَنْ أُعْلَلَ أَقْتِرَابَ مِثْلِ
هَذِهِ السَّفِينَةِ مِنْ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ النَّائِيَةِ ، عَلَى غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى الْمُرُورِ
بِهَا . وَرَأَيْتُ - مِنْ الْحَزَامَةِ^(٣) وَأَصَالَةِ الرَّأْيِ - أَنَّ أَتْرَيْثَ ؛ حَتَّى
أَتَبَيَّنَ الْحَقِيقَةَ وَاضِحَةً ، لَا لَبْسَ فِيهَا وَلَا غُمُوضَ .

٢ - شَكْوَى الرُّبَّانِ

وَلَمَّا رَسَا الزُّورْقُ عَدَدْتُ رَاكِبِيهِ ؛ فَرَأَيْتُهُمْ أَحَدَ عَشَرَ مِنْ بَنِي

(١) صعدت . (٢) أحسست . (٣) الحكمة .

وَطَنِي ، وَرَأَيْتُ - مِنْ يَنِينِهِمْ - ثَلَاثَةَ مَشْدُودِي الْوَتَاقِ . ثُمَّ قَفَزَ
خَمْسَةُ رِجَالٍ إِلَى الشَّاطِئِ يَقْدُونَ أَسْرَاهُمْ بِالْحِبَالِ ؛ فَلَمْ أَفْهَمْ شَيْئًا ،
وَلَمْ أَهْتَدِ إِلَى حَلِّ هَذَا اللَّغْزِ الْغَامِضِ .

فَقَالَ لِي خَادِمِي « جُمُعَةٌ » :

« لَا شَكَّ فِي أَنَّهُمْ سَيَأْكُلُونَ أَسْرَاهُمْ كَمَا يَفْعَلُ بَنُو وَطَنِنَا .
فَأَكَّدْتُ لَهُ أَنَّ هَذَا لَنْ يَكُونَ ، وَلَنْ يَتَعَدَّى أَنْتِقَامُهُمْ مِنْ
أَسْرَاهُمْ أَنْ يَقْتُلُوهُمْ ؛ أَمَّا أَنْ يَأْكُلُوهُمْ فَذَلِكَ مَا لَا يَدُورُ لَهُمْ بِخَلَدٍ ^(١) .
وَبَعْدَ قَلِيلٍ تَرَكَوا الْأَسْرَى فِي مَكَانِهِمْ ، ثُمَّ ذَهَبُوا يَجُوبُونَ
الْجَزِيرَةَ ^(٢) مُتَنَزِّهِينَ ، حَتَّى السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ بَعْدَ الظُّهْرِ . فَوَقَفُوا
يَسْتَرِيحُونَ تَحْتَ أَشْجَارِ الْغَابَةِ ، بَعْدَ أَنْ أَشْدَّتْ حَمَارَةٌ الْقَيْظِ ،
وَجَهَدَهُمْ ^(٣) الْحَرُّ ؛ فَانْطَرَحُوا عَلَى الْأَرْضِ ، وَأَسْتَسَامُوا لِلنَّوْمِ .
فَدَنَوْتُ مِنَ الْأَسْرَى ، وَسَأَلْتُهُمْ عَنْ مَصْدَرِ شَقَائِهِمْ ؛ فَارْتَعَدَتْ
فَرَائِصُهُمْ ^(٤) مِنْ رُؤْيَايَ . وَلَكِنِّي طَمَأَنْتُهُمْ حَتَّى سُرِّي عَنْهُمْ ^(٥) ، وَرَأَوْا
أَمَلًا كَبِيرًا فِي خَلَاصِهِمْ .

وَقَدْ قَالَ لِي أَحَدُهُمْ ، وَقَدْ بَشَّرْتِ ^(٦) عَيْنَاهُ بِالْمُجُوعِ :

(١) لَا يَمُرُّ بِمَقْلَهُمْ . (٢) يَجُولُونَ فِيهَا . (٣) أَتَمَّجَهُمْ . (٤) فَرَعَوْا .
(٥) ذَهَبَ خَوْفُهُمْ . (٦) أَمْلَأَتْ .

« أُنَا رُبَّانُ السَّفِينَةِ الَّتِي تُقِلُّ هَؤُلَاءِ الْمَلَّاحِينَ . وَقَدْ نَارَ عَلَى رِجَالِي وَتَمَرَّدُوا ، وَعَزَمُوا عَلَى أَنْ يَتْرَكُونِي فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ الْعَازِلَةِ الْمُتَفَرِّقَةِ ، مَعَ هَذَيْنِ الرَّفِيقَيْنِ اللَّذَيْنِ أُيِّيَا^(١) أَنْ يَشْرَكَهُمُ فِي تَمَرُّدِهِمْ وَعِصْيَانِهِمْ . »

٣ - النَّصْرُ

فَسَأَلَتْهُ : « أَتُعَاهِدُنِي عَلَى أَنْ تُقِلَّنِي وَصَاحِبِي « جُمُعَةٌ » فِي سَفِينَتِكَ ، إِذَا أَتَقَذْتُكَ مِنْ هَذِهِ الْوَرْطَةِ^(٢) ؟ »

فَقَالَ : « لَوْ تَمَّ ذَلِكَ ، لَأَصْبَحْتُ رَهْنًا لِإِشَارَتِكَ . »
فَرَسَمْنَا خُطَّةً بَارِعَةً لِلْقَبْضِ عَلَى الْعَصَاةِ ، وَالِاسْتِيلَاءِ عَلَى زَوَرَقِهِمْ .
وَقَدْ فَاجَأَنَاهُمْ وَهُمْ نَائِمُونَ ، وَأَوْهَمْتُهُمْ أَنَّ لَدَى جَيْشًا كَبِيرًا ؛ فَاضْطَرُّوا
أَكْثَرَهُمْ إِلَى الْإِذْمَانِ^(٣) ، وَعَاهَدُونَا عَلَى الْإِخْلَاصِ .

ثُمَّ ذَهَبَ الرُّبَّانُ وَ « جُمُعَةٌ » وَرِفَاقُهُ إِلَى السَّفِينَةِ ، وَأَسْرَوْا
وَكَيْلَ الرُّبَّانِ وَمَنْ أَلْهَبَ مَعَهُ نَارَ الْفِتْنَةِ ، وَأَطْلَقُوا سَبْعَ طَلَقَاتٍ مِنْ

(١) امتنعا . (٢) إذا خلصتك من هذا المكان الذي يعرضك للهلاك . (٣) التسليم .

مِدْفِعِ السَّفِينَةِ إِعْلَانًا لِإِتِّصَارِهِمْ . فَلَمْ أَعُدْ أَتَمَالِكُ مِنَ الْفَرَجِ ،
وَلَمْ أَكْذُ أَصَدِّقُ مَا أَرَى ؛ فَأَرْتَمَيْتُ عَلَى فِرَاشِي ، وَأُسْتَسَلَمْتُ
لِنَوْمٍ عَمِيقٍ .



ثُمَّ جَاءَ الرَّبَّانُ
وَمَا تَقْنَى ، وَقَالَ لِي :
« إِنَّ السَّفِينَةَ
وَرُبَّانَهَا وَمَلَاحِيهَا
لَيَسُوأُ إِلَّا مِلَكَ يَدَيْكَ

وَطَوَّعَ إِشَارَتِكَ . » فَأَيَقَنْتُ — حِينَئِذٍ — بِالْخَلَاصِ ، وَغَلَبَتِي الشُّرُورُ
عَلَى أَمْرِي ؛ فَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَنْبَسَ^(١) بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ .
ثُمَّ أَفَقْتُ مِنْ ذُهُولِي وَدَهْشَتِي ، فَأَقْبَلْتُ عَلَى الرَّبَّانِ أَعَاتِقُهُ وَأَشْكُرُ
لَهُ أَحْسَنَ الشُّكْرِ . وَقَدْ أَخْضَرَ لِي الرَّبَّانُ هَدَايَا فَالْخِرَةَ ، وَأَطْعَمَهُ لَذِيذَةً ،
وَرِيَابًا جَمِيلَةً ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنَ التَّحَفِ وَالطَّرْفِ^(٢) .

(٢) الْأَشْيَاءُ الْغَرِيبَةُ الْمُنِيَّةُ .

(١) أَنْطَقَ .

٤ - مُعَدَّاتُ السَّفَرِ

وَلَمْ يَبْقَ عَلَيْنَا إِلَّا أَنْ نَتَأَهَّبَ لِلسَّفَرِ . وَقَدْ اسْتَقَرَّ رَأْيُنَا عَلَى تَرْكِ زُعْمَاءِ الثَّوَرَةِ مِنَ الْمَلَّاحِينَ فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ ؛ حَتَّى لَا يُفْسِدُوا عَلَيْنَا أَمْرَنَا . وَقَدْ شَرَحْتُ لَهُمْ وَسَائِلَ الْعَيْشِ وَأَسَالِيبَ الْحَيَاةِ فِي تِلْكَ الْبِقَاعِ^(١) ، وَعَلَّمْتُهُمْ كَيْفَ يَصْنَعُونَ الْخُبْزَ ، وَكَيْفَ يَبْذُرُونَ وَيَحْصِدُونَ ، وَكَيْفَ يُجَفِّقُونَ الْعِنَبَ ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنَ الضَّرُورِيَّاتِ . ثُمَّ ذَكَرْتُ لَهُمْ أَنَّ سِتَّةَ عَشَرَ إِنْسَانِيًّا قَادِمُونَ عَلَيْنِهِمْ - بَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ - وَتَرَكْتُ مَعَهُمْ كِتَابًا إِلَيْهِمْ أَوْصِيهِمْ بِهِمْ خَيْرًا . وَأَخَذْتُ عَلَيْهِمُ الْمَوَاقِيقَ وَالْعُهُودَ أَنْ يَعْيشُوا جَمِيعًا مُتَعَاوِنِينَ مُتَحَاطِينَ .

وَتَرَكْتُ لَهُمْ مَا كَانَ لَدَيَّ مِنْ سِلَاحٍ ، وَهُوَ خَمْسَةُ مُسَدَّسَاتٍ ، وَثَلَاثُ بُنْدُقِيَّاتٍ ، وَثَلَاثَةُ سُيُوفٍ ، كَمَا تَرَكْتُ لَهُمْ كُلَّ مَا بَقِيَ عِنْدِي مِنَ الْبَارُودِ وَالرَّصَاصِ . وَشَرَحْتُ لَهُمْ : كَيْفَ يَتَمَهَّدُونَ الْعِزَى ؟ وَكَيْفَ يَخْلُبُونَ لَبَنَهَا ؟ وَكَيْفَ يَصْنَعُونَ مِنْهُ الزُّبْدَ وَالْجُبْنَ ؟

(١) الأَرَامِي .

٥ - فِي أَرْضِ الْوَطَنِ

وَفِي الْيَوْمِ الثَّانِي ، وَدَّعْتُ هَذِهِ الْمَمْلَكَةَ الثَّانِيَةَ ، وَأَخَذْتُ مَعِيَ
قَلَنْسُوتِي - وَهِيَ مِنْ جِلْدِ مَاعِزٍ ، كَمَا عَلِمَ الْقَارِئُ - وَمِظْلَتِي وَبِئْغَائِي .
وَأَخَذْتُ مَا كَانَ



عِنْدِي مِنَ النُّقُودِ ،
وَقَدْ عَلَاهَا الصَّدَأُ
لِطَوْلِ احْتِجَابِهَا فِي
أَمْنَاءِ هَذِهِ الْأَعْوَامِ .
ثُمَّ أَقْلَمْتُ بِنَا
السَّفِينَةَ فِي التَّاسِعِ
عَشَرَ مِنْ « دَيْسَمْبَرِ »
حَامَ ١٦٨٦ م بَعْدَ أَنْ
كَبِثْتُ فِي هَذِهِ
الْجَزِيرَةِ ثَمَانِيَةَ

وعِشْرِينَ عَامًا وَشَهْرَيْنِ وَتِسْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا . وَقَدْ فَرِحَ « جُمُعَةُ
بِمُرَاقَقَتِي إِلَى بِلَادِي ، وَآثَرَ صُحْبَتِي ^(١) عَلَى كُلِّ شَيْءٍ .

وَمِنْ عَجِيبِ الْمُصَادَفَاتِ أَنَّ يَوْمَ خَلَاصِي مِنْ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ وَ
يَوْمَ خَلَاصِي مِنَ الْأَسْرِ فِي رِحْلَتِي السَّابِقَةِ ، الَّتِي عَرَفَهَا الْقَارِئُ الْعَزِيزُ
وَفِي الْيَوْمِ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ « يُنْيَة » عَامَ ١٦٨٧ م وَصَلْتُ
إِلَى « لَنْدَن » بَعْدَ أَنْ غِيبْتُ عَنْهَا خَمْسَةَ وَثَلَاثِينَ عَامًا .

٦ - السَّفَرُ إِلَى « لِسْبُونَة »

وَرَأَيْتُنِي غَرِيبًا فِي بِلَادِي ، وَوَجَدْتُ وَالِدِيَّ قَدْ مَاتَ مِنْذُ زَمَرٍ
طَوِيلٍ ، وَلَمْ أَجِدْ أَحَدًا يَعْرِفُنِي مِنْ رِفَاقِ الْقَدَمَاءِ ؛ فَعَزَمْتُ عَلَى السَّفَرِ
إِلَى « لِسْبُونَة » ، لِأَتَعَرَّفَ وَسِيْلَةً إِلَى الْإِسْتِفسَارِ عَمَّا آَلَتْ إِلَيَّ
دَسْكَرَتِي ^(٢) ، فِي « الْبَرَاذِيلِ » . وَقَدْ عَجَّلْتُ بِالسَّفَرِ إِلَى « لِسْبُونَة »
- وَمَعِيَ « جُمُعَةُ » - فَبَلَغْنَاهَا فِي « أَبْرِيل » .

وَعَثَرْتُ - لِحُسْنِ حَظِّي - عَلَى رُبَّانِ السَّفِينَةِ الَّتِي أَتَقَدَّنِي فِي رِحْلَتِي
الْأُولَى حِينَ فَرَرْتُ مِنَ الْأَسْرِ ، وَكَانَ قَدْ شَاخَ وَتَرَكَ سَفِينَتَهُ لِوَلَدِهِ

(١) اخْتَارَ أَنْ يُلَاحِظَنِي . (٢) قَرِيبِي .

فَذَكَرْتُهُ بِقِصَّتِي ، وَسَأَلْتُهُ عَنْ دَسْكَرَتِي فِي « الْبَرَاذِيلِ » ؛ فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ لَمْ يَذْهَبْ إِلَيْهَا مُنْذُ نِسْعِ سَنَوَاتٍ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَأَلُ جُهْدًا فِي إِرْسَالِ الرُّسُلِ إِلَى شُرَكَائِي ، حَتَّى ظَفِرَ - بَعْدَ بَضْعَةِ أَشْهُرٍ - بِنَصِيبِي مِنَ الْمَالِ وَالْبَضَائِعِ ؛ فَأَرَبْتُ^(١) تَرَوَاتِي عَلَى خَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْجَنِينَاتِ . وَقَدْ صَنِمْتُ بِذَلِكَ رِيْعًا سَنَوِيًّا - مِنْ صَنِيعَتِي بِالْبَرَاذِيلِ - لَا يَقِلُّ عَنْ أَلْفِ جُنِينَةٍ ؛ فَأَجَزَلْتُ مُكَافَأَةَ الرُّبَّانِ الْمُحْسِنِ ، اعْتِرَافًا بِفَضْلِهِ عَلَيَّ ، وَصَنِيعِهِ الَّذِي أَسْلَفَهُ إِلَيَّ .

وَبَقِيَتْ عِدَّةُ أَشْهُرٍ حَائِرًا مُضْطَرِبًا ، لَا أَذْرِي : إِلَى أَىِّ بَلَدٍ أَقْصِدُ ؟ ثُمَّ اسْتَقَرَّ عَزَمِي عَلَى السَّفَرِ إِلَى « إِنْجِلْتِرَا » .

أَهْوَالُ الْبَرِّ

١ - السَّفَرُ إِلَى « مَدْرِيدَ »

وَبَقِيتُ مُتَرَدِّدًا فِي الطَّرِيقِ الَّتِي أَتَخَيَّرْتُ سُلُوكَهَا ، وَشَعَرْتُ بِخَوْفٍ شَدِيدٍ مِنْ رُكُوبِ الْبَحْرِ ، بَعْدَ مَا لَقِيتُهُ مِنَ الْأَخْطَارِ وَالْمَتَاعِبِ . وَقَدْ خُيِّلَ إِلَيَّ أَنَّ السَّفَرَ فِي الْبَرِّ آمَنُ مِنْهُ فِي الْبَحْرِ ؛ فَعَزَمْتُ عَلَى السَّفَرِ إِلَى « مَدْرِيدَ » ، بِحَيْثُ أَجْتَازُ طَرِيقَ الْبَرِّ إِلَى « فَرَنْسَا » ، ثُمَّ لَا يَبْقَى عَلَيَّ إِلَّا مَسَافَةٌ قَصِيرَةٌ أَعْبُرُهَا - فِي الْبَحْرِ - يَتَيْنَ « كَالِيه » وَ « دُوْفَرَ » .

وَقَدْ وُقِّعْتُ إِلَى رِفَاقٍ يَصْحَبُونَنِي فِي هَذِهِ الرِّحْلَةِ الطَّوِيلَةِ - وَكَانَ عَدَدُهُمْ سِتَّةً مِنَ السَّادَةِ ، وَخَمْسَةً مِنَ الْخَدَمِ - حَتَّى وَصَلْنَا إِلَى « مَدْرِيدَ » .

٢ - الذئبان

وَقَدْ اضْطَرَرْنَا إِلَى مُنَادَرَةِ « مَذْرِيْدَ » لِقُرْبِ حُلُولِ الشِّتَاءِ .
وَعَلِمْنَا أَنَّ الطَّرِيقَ - الَّتِي أَرْمَعْنَا ^(١) أُجْتِيَازَهَا - خَطَرَةٌ فِي هَذَا
الْفَصْلِ . وَقَدْ كَانَ الشِّتَاءُ قَاسِيَ الْبُرُودَةِ ، وَرَأَيْنَا الثَّلُوجَ تَغْطِي الْجِبَالَ ؛
فَنَدِمْنَا عَلَى مُخَاطَرَتِنَا بِالسَّفَرِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الْمَشْتُومِ .
وَكَانَ مَعَنَا دَلِيلٌ ذَكِيٌّ شَجَاعٌ . وَمَازِلْنَا سَائِرِينَ - عِدَّةَ أَيَّامٍ -
حَتَّى قَطَعْنَا مَرَجَلَةً كَبِيرَةً فِي دِخْلَتِنَا الْمُضْنِيَّةِ ^(٢) .



وَكَانَ الدَّلِيلُ
يَتَقَدَّمُنَا أَحْيَانًا ، ثُمَّ
يَعُودُ إِلَيْنَا لِيُرْشِدَنَا
إِلَى الطَّرِيقِ .
وَفِي ذَاتِ مَرَّةٍ ،
بُغِدْنَا
- كَمَا دَتِهِ - فَانْقَضَ

(١) قَرَبْنَا . (٢) الْحَبَّةُ الْبَاقِيَّةُ .

عَلَيْهِ ذُبَانٌ . وَرَأَى الدَّلِيلُ هَلَاكَهُ مُحَقَّقًا وَشَيْكًا ؛ فَصَرَخَ مِنَ الْفَزَعِ ،
فَأَذْرَكَهُ « جُمْعَةٌ » ، وَأَطْلَقَ رِصَاضَهُ عَلَى أَحَدِ الدُّبَّيْنِ ، فَقَتَلَهُ قَبْلَ أَنْ
يَفْتَرِسَ الدَّلِيلَ . وَفَرَّ الدُّبُّ الْآخَرُ هَارِبًا حِينَ رَأَى مَضْرَعَ أَخِيهِ .

٣ - الدُّبُّ



ثُمَّ رَأَى « جُمْعَةٌ » دُبًّا
هَائِلَ الْجِرْمِ ^(١) مُقْبِلًا
عَلَيْهِ ؛ فَاسْتَدَّ رُعْبُنَا .
وَلَكِنَّ « جُمْعَةٌ »
سَخِرَ مِنْهُ ^(٢) ،
وظَهَرَتْ عَلَى وَجْهِهِ
أَمَارَاتُ النَّبْطَةِ ^(٣) .
بِمُصَارَعَةِ الدُّبِّ .
ثُمَّ التَفَتَ إِلَى قَائِلَا :
« أَرْجُو أَلَّا

(١) الجسم . (٢) هزى به . (٣) علامات الفرح .

تَمَكَّرُوا عَلَى صَفَائِي ؛ فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَدَاعِبَ هَذَا الذَّبَّ ، لِأَسْرَى عَنْكُمْ قَلِيلًا . فَحَذَارِ أَنْ تُطْلَقُوا عَلَيْهِ الرِّصَاصَ . »

ثُمَّ قَذَفَهُ « جُمُعَةٌ » بِحَجَرٍ فِي رَأْسِهِ ، فَجَرَى الذَّبُّ مُسْرِعًا إِلَيْهِ فَصَعِدَ « جُمُعَةٌ » شَجَرَةً عَالِيَةً ، فَوَقَفَ الذَّبُّ تَحْتَهَا قَلِيلًا ، ثُمَّ تَسَلَّقَهَا^(١) . فَأَمْسَكَ « جُمُعَةٌ » بِأَحَدِ أَغْصَانِ الشَّجَرَةِ ، وَظَلَّ يَهْزُؤُ الْغُصْنَ هَزًّا عَنيفًا ، وَهُوَ سَاخِرٌ مِنْ حَيَرَةِ الذَّبِّ ، الَّذِي ظَلَّ يَتَرَجَّحُ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ . ثُمَّ صَوَّبَ « جُمُعَةٌ » رِصَاصَةً إِلَى أُذُنِ الذَّبِّ — بَعْدَ أَنْ أَرَقَصَهُ طَوِيلًا — فَقَتَلَهُ . وَقَدْ أَضْحَكْنَا كَثِيرًا .

٤ — لَيْلَةٌ هَائِلَةٌ

وَرَأَيْنَا اللَّيْلَ يَقْتَرِبُ ، وَالنَّهَارَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقُضِيَ . فَضَاعَفْنَا السَّيْرَ مُسْرِعِينَ ؛ لِنَجْتَازَ الْمَسَافَةَ الْقَلِيلَةَ الْبَاقِيَةَ عَلَيْنَا فِي تِلْكَ الْأَوْدِيَةِ الْمُحِيفَةِ الْمُفْزَعَةِ . وَمَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ حَتَّى مَرَّتْ بِنَا خَمْسَةُ ذُنَابٍ ؛ فَلَمْ نَأْبَهُ لَهَا^(٢) . وَكُنَّا مُتَحَفِّزِينَ^(٣) — فِي كُلِّ لَحْظَةٍ — لِمُدَافَعَةِ الذَّنَابِ

(١) صعدنا . (٢) لم نهم بها . (٣) مستعدين .

الكثيرة ، أَلَى سَتَعَرَضُنَا فِي الطَّرِيقِ ، كَمَا أَخْبَرَنَا الدَّلِيلُ .
وَمَا تَقَدَّمْنَا نَعْمَفَ فَرَسِيحٍ ^(١) بَعْدَ ذَلِكَ ، حَتَّى رَأَيْنَا ذُبَابًا كَثِيرَةً تَنْهَشُ
لَحْمَ جَوَادٍ مَيِّتٍ ، وَقَدْ مَرَّقَتْهُ تَمَرِيهَا .

* * *



وَلَمْ نَجْزِ مَرَحَلَةً
قَصِيرَةً أُخْرَى ،
حَتَّى مَلَأَتِ الذُّبَابُ
الْجَوَّ بِعَوَائِهَا . وَرَأَيْنَا
أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ
ذَيْبٍ تَكْتَنِفُنَا ^(٢) ،

مُتَحَفِّزَةً لِلْمُؤُوبِ عَلَيْنَا ، وَالْفَتْكَ بِنَا . فَأَاطَلَقْنَا عَلَيْهَا الرِّصَاصَ ، وَصَرَخْنَا
صَرَخَاتٍ عَالِيَةً لِنُخِيفَهَا .
فَوَلَّتِ الذُّبَابُ هَارِبَةً .

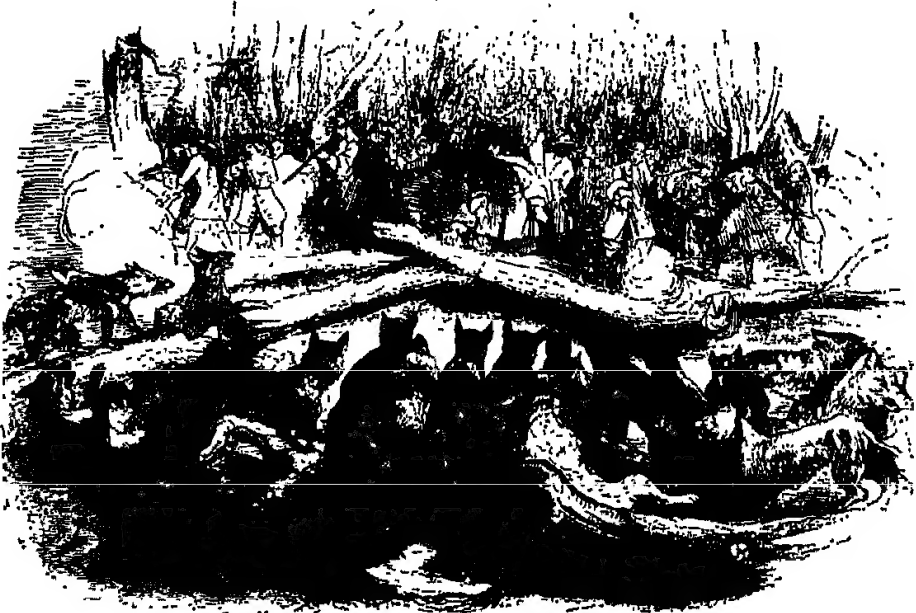
* * *

وَلَمَّا قَطَعْنَا مَرَحَلَةً أُخْرَى ، أَحَاطَتْ بِنَا قُطْمَانٌ كَثِيرَةٌ ، وَسَمِعْنَا

(١) نَحْرَ أَرِيْمَةٍ مِنَ الْكِلَابَاتِ .

(٢) تَحِيَّطُ بِنَا

صَوْتِ رَصَاصَةٍ بِالقُرْبِ مِنَّا ، وَرَأَيْنَا جَوَادًا يُسَابِقُ الرِّيحَ ، وَتَعْدُو فِي
إِثْرِهِ جَمَهْرَةٌ مِنَ الذَّنَابِ ؛ فَعَلِمْنَا أَنَّ مَا لَنَا ^(١) الْمَوْتُ الْوَشِيكَ .
وَمَا سِرْنَا خُطُواتِ قَلِيلَةٍ ، حَتَّى رَأَيْنَا جُثَّةَ جَوَادٍ آخَرَ قَطَعَتْهَا الذَّنَابُ



إِزْبَاكَ إِزْبَاكَ ^(٢) ، وَإِلَى جَانِبِهَا جُثَّتِي فَارِسَيْنِ ، لَمْ تُبْقِ مِنْهُمَا الذَّنَابُ إِلَّا
الْعِظَامَ . فَعَلِمْنَا أَنَّ أَحَدَهُمَا هُوَ الَّذِي أَطْلَقَ الرِّصَاصَةَ الَّتِي سَمِعْنَا دَوِيَّهَا
مُنْذُ حِينٍ .

وإِنَّا لَحَائِرُونَ مَذْعُورُونَ مِنْ هَذَا الْمَنْظَرِ الْمُفْرِغِ الْهَائِلِ ، إِذْ أَقْبَلَ

(١) مصيره . (٢) قطعة قطعة .

عَلَيْنَا — مِنْ أَشْرَابِ الذَّنَابِ — مَا لَا قِبَلَ لَنَا بِمُقَاوَمَتِهِ . فَقَدِ
 اكْتَنَفْنَا نَحْوُ ثَلَاثِمِائَةِ ذَنْبٍ ؛ فَاعْتَصَمْنَا^(١) بِأَشْجَارِ قَرِيبَةٍ .
 وَبَعْدَ أَنْ تَرَجَّلْنَا ، ظَلَلْنَا نَطْلُقُ عَلَيْهَا الرِّصَاصَ ؛ فَتَرَاوَعْتُ ، ثُمَّ كَرَّرْتُ
 عَلَيْنَا كَرَّةً أُخْرَى . وَمَا زِلْنَا نُحَارِبُهَا مُسْتَبْسِلِينَ ، حَتَّى قَتَلْنَا مِنْهَا نَحْوَ
 سِتِّينَ ذَنْبًا ، وَكَسَبْنَا الْمَعْرَكَةَ — بَعْدَ جِهَادٍ عَنيفٍ — وَانْتَصَرْنَا عَلَى
 الذَّنَابِ ، بِأَعْجُوبَةٍ لَا مَثِيلَ لَهَا فِي الْأَعَايِبِ .

ه — خَاتِمَةُ الرِّحْلَةِ

ثُمَّ قَطَعْنَا الْمَرْحَلَةَ الْبَاقِيَةَ مُسْرِعِينَ ، حَتَّى وَصَلْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ ،
 حَيْثُ أَتَمَمْنَا رِحْلَتَنَا — بَعْدَ ذَلِكَ — آمِنِينَ .
 وَمَا أَنَسَ لَا أَنَسَ — مَا حَيِّتُ — هَذِهِ الرِّحْلَةَ الْبَرِّيَّةَ الْمُخِيفَةَ
 الَّتِي أَنَسْتَنِي أَهْوَالُهَا أَهْوَالَ الْبَحْرِ .
 وَقَدْ آلَيْتُ^(٢) عَلَى نَفْسِي أَنْ أَقْضِيَ الْبَقِيَّةَ الْبَاقِيَةَ مِنْ عُمرِي فِي
 دَعَةٍ^(٣) وَاطْمِئْنَانٍ ، وَأَمْنٍ وَسَلَامٍ .

القصة التالية : « جلفرقى بلاد الأقزام »

(١) جَلَانَا . (٢) حَلَفْتُ . (٣) رَاحَةٌ بِـ

١٩٩٢/٨٥٩٥	رقم الإيداع
ISBN 977-02-3838-4	الترقيم الدولي

١/٩٢/١٢٥

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

مكتبة الإسكندرية

مكتبة الأطفال

بِقِطْعَةٍ
مِنْ
الْكِتَابِ

أَسَاطِيرُ الْعَالَمِ

- ١ الملك ميداس . ٢ في بلاد المعجائب .
- ٣ القصر الهندي . ٤ قصاص الأثر .
- ٥ بطل أتينا . ٦ الفيل الأبيض .

قِصَصٌ عِلْمِيَّةٌ

- ١ أصدقاء الربيع . ٢ زهرة البرسيم .
- ٣ في الاصطبل . ٤ جبارة الغابة .
- ٥ أسرة السناجب . ٦ أم سند وأم هند .
- ٧ الصديقتان . ٨ أم مازن .
- ٩ العنكب الحزين . ١٠ النحلة العاملة .

أَشْهُرُ الْقِصَصِ

- ١ جلنفر في بلاد الأقزام .
- ٢ في بلاد المعلقة .
- ٣ في الجزيرة الطيارة .
- ٤ في جزيرة الحياض المائية .
- ٥ روبنن كروزو .

قِصَصٌ عَرَبِيَّةٌ

- ١ حى بن يقطان . ٢ ابن

قِصَصٌ تَمَثَّلَتْ

- ١ الملك النجار .

قِصَصٌ فُكَاهِيَّةٌ

- ١ عمارة . ٢ الأرنب الذكى .
- ٣ عفاريت الصوص . ٤ نعمان .
- ٥ العرندس . ٦ أبو الحسن .
- ٧ حذاء الطنبورى . ٨ بنت الصباغ .

قِصَصٌ مِنْ أَلْفِ لَيْلَةٍ

- ١ بابا عبد الله والدرويش .
- ٢ أبو صير وأبو قير . ٣ على بابا .
- ٤ عبد الله البرى وعبد الله البحرى .
- ٥ الملك عجيب . ٦ خسرو شاه .
- ٧ السندباد البحرى . ٨ علاء الدين .
- ٩ تاجر بغداد . ١٠ مدينة النحاس .

قِصَصٌ هِنْدِيَّةٌ

- ١ الشيخ الهندي . ٢ الوزير السجين .
- ٣ الأميرة القاسية . ٤ خاتم الذكرى .
- ٥ شبكة الموت . ٦ في غابة الشياطين .
- ٧ صراع الأخوين .

قِصَصٌ شَكْبَرِيَّةٌ

- ١ الماصفة . ٢ تاجر البندقية .
- ٣ يوليوس قيصر . ٤ الملك لير .

Bibliotheca Alexandrina



0287580

مكتبة الإسكندرية



دارالمعارف

٥٦٥٠